مزارع المحتوى الرقمي وآليات تصفية الوعي السيادي

ص3

تتويج برشلونة يكشف عيوب مشروع ريال مدريد

ص11

مطار بن غوريون «الأميركي» يثير جدلا في إسرائيل

ص2

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الثلاثاء 2026/05/12 - 24 ذو القعدة 1447

السنة 48 العدد 13808

Tuesday 12/05/2026

48th Year, Issue 13808

www.alarab.co.uk

إيران تخشى تقاربا صينيا - أميركيا على حسابها

تشدّد طهران ورفض واشنطن يُدخلان المسار التفاوضي نفقا مسدودا

حين يجد الجدّ لا تراعي القوى الكبرى سوى مصالحها الدائمة

طهران - تراقب إيران بقلق بالغ القمة المرتقبة بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب ونظيره الصيني شي جينبينغ، وسط مخاوف متزايدة من أن تتحول الحرب الأخيرة وما رافقها من ضغوط اقتصادية وأمنية إلى مدخل لتفاهمات أميركية – صينية قد تأتي على حساب مصالحها الإستراتيجية. وفي الوقت نفسه يزداد المشهد تعقيدا مع تعثر المسار التفاوضي بين واشنطن وطهران بفعل تشدد الطرفين وتضارب شروطهما، ما يرفع احتمالات العودة إلى التصعيد العسكري ويزيد من هشاشة الاستقرار في الخليج.

وتكتسب زيارة ترامب إلى بكين أهمية استثنائية في ظل تداعيات الحرب بين إيران من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى، خصوصا مع تصاعد الاتهامات الأميركية للصين بتقديم دعم عسكري وتكنولوجي لطهران ساعدها على الصمود في مواجهة الضربات والحصار البحري المفروض عليها. ويرى مراقبون أن ملف العلاقة الصينية – الإيرانية سيكون حاضرا بقوة على طاولة المباحثات، وأن واشنطن ستسعى إلى انتزاع تنازلات من بكين تتعلق بتقليص مستوى تعاونها مع الجمهورية الإسلامية.

> نجاح واشنطن في إقناع الصين بتحجيم دعمها لإيران سيعتمد على حجم المكاسب التي يمكن أن تحصل عليها بكين

وتدرك إيران أن الصين ليست مجرد شريك اقتصادي عادي، بل تمثل شريانها التجاري والنفطي الأهم في ظل العقوبات الغربية. فبكين تعد أكبر مستورد للنفط الإيراني، كما توفر لطهران متنفسا ماليا وتكنولوجيا يصعب تعويضه. لذلك تنظر القيادة الإيرانية بعين الريبة إلى أي تقارب محتمل بين القوتين العظميين، خشية أن يتحول إلى صفقة أوسع تُستخدم فيها الورقة الإيرانية ضمن مقايضات تتعلق بالتجارة العالمية والرسوم الجمركية وأمن الطاقة.

ويعتقد محللون أن نجاح واشنطن في إقناع الصين بتحجيم دعمها لإيران سيعتمد على حجم المكاسب التي يمكن أن تحصل عليها بكين في المقابل، سواء عبر تخفيف القيود التجارية أو تقديم امتيازات اقتصادية وسياسية. ورغم أن الصين تستفيد من علاقتها مع إيران، سواء عبر النفط أو التعاون التكنولوجي والعسكري، فإن براغماتيتها المعروفة تجعلها منفتحة على إعادة ضبط علاقاتها إذا وجدت مصلحة أكبر مع الولايات المتحدة.

وفي هذا السياق تحاول طهران إظهار الصين باعتبارها طرفا يمكن أن يلعب دور الضامن لأي تسوية مقبلة. وقال السفير والممثل الخاص للرئيس الإيراني لدى الصين عبدالرضا رحماني فضلي إن بكين تمتلك من النفوذ والمكانة ما يؤهلها لأن تكون ضامنة لأي اتفاق مستقبلي لإنهاء الحرب، مشيرا أيضا إلى الدور الروسي في هذا الإطار. لكن هذه الرسائل تعكس في جانب منها محاولة إيرانية لتثبيت الصين داخل معادلة التوازنات الإقليمية ومنع انجرافها نحو تفاهمات أوسع مع واشنطن.

وتدخل بكين القمة المرتقبة وهي تسعى إلى تحقيق توازن دقيق بين الحفاظ على شراكتها مع إيران وعدم الانزلاق إلى مواجهة مفتوحة مع الولايات المتحدة. فالصين، بوصفها قوة تعتمد بشكل كبير على التجارة الدولية، لا تبدو معنية بإطالة أمد التوتر في الخليج، خصوصا أن إغلاق مضيق هرمز أو اضطراب الملاحة فيه يهددان تدفقات الطاقة التي يعتمد عليها الاقتصاد الصيني.

ومنذ اندلاع الحرب حرصت الصين على إبقاء خطابها ضمن حدود محسوبة، فدعمت إيران سياسيا وانتقدت العقوبات الأميركية، لكنها في الوقت نفسه تجنبت الانخراط المباشر في الصراع أو تبني مواقف تصعيدية حادة تجاه واشنطن. ويبدو أن القيادة الصينية تدرك أن استمرار التوتر في الشرق الأوسط قد يتحول من ورقة ضغط مفيدة ضد الولايات المتحدة إلى عبء اقتصادي وإستراتيجي يصعب التحكم في تداعياته.

وفي المقابل لا تبدو أجواء التفاوض بين واشنطن وطهران أكثر إيجابية. فقد اصطدم المقترح الأميركي الأخير برد إيراني متشدد ركز على شروط تعتبرها واشنطن غير قابلة للقبول، من بينها رفع الحصار البحري، وإنهاء العقوبات، والتعويض عن أضرار الحرب، والاعتراف بالسيادة الإيرانية على مضيق هرمز.

وجاء الرفض السريع من ترامب ليؤكد اتساع فجوة المواقف بين الطرفين. فالإدارة الأميركية تريد وقفا للقتال أولا ثم الانتقال إلى مناقشة الملفات المعقدة، وعلى رأسها البرنامج النووي الإيراني والصواريخ الباليستية والنفوذ الإقليمي، بينما تصر طهران على ربط أي تهدئة بحزمة أوسع تشمل رفع الضغوط الاقتصادية وضمانات أمنية وسياسية.

وأدى هذا الجمود إلى تجدد المخاوف في أسواق الطاقة، خاصة مع استمرار الاضطراب في حركة الملاحة عبر مضيق هرمز الذي كان ينقل قبل الحرب نحو خمس الإمدادات النفطية العالمية. كما انعكس التصعيد على أسعار النفط التي واصلت الارتفاع مع كل مؤشرات الفشل الدبلوماسي أو التهديدات المتبادلة بين الطرفين.

ويواجه ترامب بدوره ضغوطا داخلية متزايدة، إذ تشير استطلاعات الرأي إلى تراجع التأييد الشعبي للحرب في ظل ارتفاع أسعار الوقود واقتراب انتخابات التجديد النصفي للكونغرس. كما أن واشنطن لم تنجح حتى الآن في بناء تحالف دولي واسع لدعم عملياتها العسكرية أو تأمين الملاحة في الخليج.

قيود المحاصصة تطارد حكومة الزيدي قبل ولادتها

بغداد - يواجه رئيس الوزراء العراقي المكلّف علي الزيدي اختبارا معقّدا في مسار تشكيل حكومته الجديدة، مع عرض جزء من كابينته الوزارية على البرلمان وسط عودة قوية لمنطق المحاصصة وتمسّك القوى السياسية والفصائل المسلحة بمواقعها التقليدية داخل مؤسسات الدولة.

وتتحدث مصادر مطّلعة عن صعوبات كبيرة تعترض الزيدي في اختيار فريقه الوزاري والإداري، في ظل إصرار مختلف القوى الشيعية والسنية والكردية، إلى جانب الفصائل المسلحة، على الاحتفاظ بحصصها المعتادة، بعيدا عن معايير الكفاءة والمهنية وشعار "حكومة التكنوقراط" الذي رافق تكليف الرجل القادم من عالم المال والأعمال بقيادة السلطة التنفيذية.

ويجري تشكيل الحكومة ضمن ضغوط متشابكة داخلية وإقليمية ودولية، أبرزها سعي إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى تقليص نفوذ القوى الموالية لإيران داخل مؤسسات الدولة العراقية. غير أن أي رئيس حكومة في بغداد يجد نفسه مضطرا إلى الحفاظ على التوازن التقليدي بين النفوذين الأميركي والإيراني، في ظل استمرار حضور سياسيين وقادة فصائل نافذين يرفضون التخلي عن مواقعهم ومكتسباتهم داخل الدولة.

ولا يقتصر التنافس على القوى الشيعية المرتبطة بطهران، بل يشمل أيضا القوى السنية والكردية التي تتمسك هي أيضا باستحقاقاتها السياسية، وسط حضور متزايد لعوامل التأثير الإقليمي، بما في ذلك النفوذ التركي الذي توسّع خلال السنوات الأخيرة في العراق.

وتعد حكومة الزيدي المرتقبة التاسعة منذ إسقاط نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين عام 2003، وهي مرحلة تأسس خلالها نظام سياسي قائم على المحاصصة الحزبية والطائفية والعرقية، تقوده بدرجة أساسية قوى ذات علاقات وثيقة بإيران، ما جعل العراق ساحة رئيسية للتجاذب بين واشنطن وطهران.

وترى طهران في العراق عمقا سياسيا وأمنيا ومتنفسا اقتصاديا حيويا، خصوصا في ظل تصاعد المواجهة المفتوحة بينها وبين الولايات المتحدة وإسرائيل.

ونُقل مؤخرا عن مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأميركية قوله إن واشنطن طلبت من رئيس الوزراء المكلّف توضيح "الخط الفاصل غير الواضح بين الدولة العراقية والجماعات الموالية لإيران"، مؤكدا أن أي دعم أميركي للحكومة المقبلة سيكون مشروطا بإبعاد الفصائل المسلحة عن مؤسسات الدولة ووقف تمويلها من الموازنة العامة.

وفي المقابل تبدو مهمة الزيدي شديدة التعقيد في ما يتعلق بإقناع قادة الفصائل النافذة، مثل قيس الخزعلي زعيم "عصائب أهل الحق" وهادي العامري قائد "منظمة بدر"، بالتخلي عن حصصهم التقليدية في المناصب الوزارية والإدارية، وهي مواقع تمنحهم نفوذا سياسيا وامتيازات واسعة.

وفي هذا السياق جاءت زيارة قائد فيلق القدس الإيراني إسماعيل قاآني إلى بغداد، الأحد، والتي وصفتها مصادر سياسية بأنها امتداد للدور الإيراني المباشر والمؤثر في تشكيل الحكومات العراقية منذ الغزو الأميركي عام 2003.

وتتمسك مختلف القوى المشاركة في العملية السياسية بمنطق اقتسام السلطة باعتبارها مصدرا للنفوذ والمصالح، وهو ما يفسّر احتدام الصراع حول الحقائب الوزارية وتفاصيل توزيعها داخل الحكومة الجديدة.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

غياب روسيا عن الأخبار ليس خبرا جيدا

الغياب شبه الكامل لروسيا عن العناوين الكبرى يلفت الأنظار، خاصة وسط مشهد دولي مزدحم بالأحداث، وكأنما انسحبت طوعًا من دائرة الضوء التي طالما كانت جزءًا منها. هذا التواري لا يعكس هدوءًا داخليا أو استقرارا مبنيا على قوة، بل هو نتاج مركب للجمود السياسي، واستنزاف القدرة على التأثير الخارجي، وتآكل أدوات النفوذ التقليدية التي كانت سابقًا تمنح روسيا حضورا دائمًا – سواء كفاعل رئيسي أو كخصم ضروري. فكما يقول المثل الإنجليزي: "غياب الأخبار ليس خبرا جيدا"، وفي حالة روسيا، قد يكون هذا الغياب إنذارا بعزلة متنامية وفقدان القدرة على المبادرة.

على مدى عقدين، بنت روسيا خطابها الدبلوماسي على نقيضين حادين: معاداة الغرب، وتأكيد استقلالية القرار السيادي. لكن هذا الخطاب، الذي كان يثير اهتمام الإعلام الغربي والعالمي في ذروة الأزمة الأوكرانية أو التدخل في سوريا، أصبح اليوم أقرب إلى تسجيل قديم يعاد تشغيله دون روح جديدة. تصريحات سيرغي لافروف، وزير الخارجية الذي يظل نموذجا للدبلوماسية الصلبة، باتت متوقعة، خالية من المبادرات العملية، وخالية من لغة الجديد. هذا التكرار المنهجي جعل روسيا تبدو وكأنها تدور في حلقة مفرغة، غير قادرة على فرض أجندة أو حتى التفاعل بفعالية مع أجندات الآخرين. بينما تملأ القوى الكبرى – وعلى رأسها الصين والولايات المتحدة – الفراغ بتحركات دبلوماسية واقتصادية وعسكرية كثيفة، تتحول موسكو تدريجيا إلى متفرج يراقب لعبة تتغير قواعدها دونه.

على المستوى الخارجي، لم يعد النفوذ الروسي كما كان. ففي مناطق كانت تعتبر تقليديا خلفية نفوذها، مثل أفريقيا والساحل، لم تنجح التدخلات العسكرية عبر مجموعات فاغنر في بناء حضور مستدام. تكبدت روسيا خسائر في النفوذ أمام منافسين أكثر مرونة مثل تركيا، التي جمعت بين القوة العسكرية والاقتصاد الدبلوماسي، والصين التي ترسخ وجودها عبر الاستثمارات الضخمة ومشاريع البنية التحتية دون أعباء سياسية مباشرة. حتى في الشرق الأوسط، حيث كانت موسكو لاعبا لا غنى عنه في الملف السوري، تقلص دورها أمام تحولات إقليمية سريعة. هذا التراجع لا يعكس بالضرورة فشلا عسكريا، بل يعكس أن روسيا لم تعد قادرة على فرض نفسها كقوة بديلة أو موازية للغرب؛ لقد أصبحت مجرد طرف يسعى للحفاظ على ما تبقى من نفوذ تقليدي.

أما داخليا، فالضغوط الاقتصادية تعزز صورة الانكماش. ورغم ارتفاع أسعار النفط في فترات معينة، يواجه المواطن الروسي موجة غلاء معيشي، وزيادات ضريبية، وتراجعًا في بيئة الأعمال بسبب العقوبات المتواصلة وهجرة رؤوس الأموال. تقارير صادرة عن جهات مستقلة وحتى أجهزة استخباراتية غربية تشير إلى أن غالبية الروس يرون الأوضاع السياسية متوترة أو قابلة للانفجار، وهو شعور يفسر جزئيا انشغال الكرملين بأزمات الداخل بدلا من المغامرات الخارجية.

لكن الأكثر إثارة للانتباه في المشهد الدولي الراهن هو ظهور قوى صاعدة جديدة تجاوزت روسيا في القدرة على خلق الأحداث. الهند، على سبيل المثال، استطاعت خلال الأعوام الماضية أن تبني لنفسها موقعا فريدا كوسيط بين الشرق والغرب، مستفيدة من نموها الاقتصادي ومن قدرتها على عدم الانحياز في صراعات القوى الكبرى. رئيس وزرائها ناريندرا مودي بات شخصية دولية مؤثرة، وتحركاتها في قمم مجموعة العشرين وبريكس وفي الملفات المناخية جعلتها بديلا جاذبا لدور كانت روسيا تطمح إليه. كذلك تركيا، بقيادة رجب طيب أردوغان، أعادت تعريف نفسها كقوة إقليمية ذات قدرة على المبادرة في أكثر من ملف: من التحكم بمفاعل الحبوب الأوكراني، إلى توسيع نفوذها في القوقاز وآسيا الوسطى عبر منظمة الدول التركية، إلى لعب دور عسكري دبلوماسي في ليبيا وأفريقيا.

> غياب روسيا عن العناوين الكبرى لا يعكس استقرارا، بل يكشف تراجع نفوذها الخارجي وانشغالها بأزماتها الداخلية

ثم تأتي الصين، التي لم تعد مجرد قوة اقتصادية صاعدة، بل أصبحت نموذجا بديلا للنظام الدولي الليبرالي. من خلال مبادرة الحزام والطريق، ومن خلال دبلوماسيتها المنهجية في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، ومن خلال وساطتها غير المسبوقة بين إيران والسعودية، تستحوذ بكين على العناوين الرئيسية كفاعل يضع الأجندة لا يقتفي آثارها. في المقابل، تبدو روسيا أمام هذا الصعود وكأنها شريك صغير في تحالف بريكس، لا قائدة للنظام العالمي متعدد الأقطاب.

هذا التجاوز المتسارع لروسيا من قبل قوى صاعدة ليس وليد الصدفة، بل يرتبط بفارق رئيسي: القدرة على تقديم نموذج جاذب. روسيا قدّمت نفسها لعقود كقوة أمنية عسكرية مانعة للفوضى، لكن العصر الراهن يطلب نماذج اقتصادية وتكنولوجية ودبلوماسية مرنة.

ومع صعود الهند وتركيا والصين ودول الخليج كجهات فاعلة تدير ملفات معقدة وتقود مبادرات حقيقية، يبدو أن روسيا اختارت الصمت – لكن هذا الصمت ليس صمت الأقوياء الذين يتحينون الفرصة، بل صمت المنهكين الذين فقدوا القدرة على المبادرة. وإذا استمر هذا الغياب، فقد تجد روسيا نفسها أمام أزمة وجودية حقيقية: أزمة دور ومكانة في نظام دولي لم تعد تملك مفاتيح التأثير فيه، بينما تتهافت عليه قوى جديدة أكثر شبابا وأكثر جرأة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

الاتحاد الأوروبي يعيد العلاقات التجارية كاملة مع سوريا

الشيباني من بروكسل: لا نطلب من العالم أن يدير مستقبل سوريا نيابة عنها

صفحة جديدة في العلاقات الأوروبية - السورية

بينما تسعى الحكومة السورية الجديدة إلى فك العزلة واستقطاب التمويل لإعادة الإعمار، تبدو أوروبا مدفوعة بحسابات براغماتية توازن بين دعم التعافي السوري واحتواء تداعيات الفوضى التي امتدت لسنوات إلى الداخل الأوروبي بسبب مخلفات الحرب الأهلية السورية

بروكسل - بخطوة تحمل أبعادا سياسية واقتصادية تتجاوز مجرد استئناف العلاقات التجارية، يفتح الاتحاد الأوروبي صفحة جديدة مع سوريا بعد أكثر من عقد من القطيعة والعقوبات التي فرضتها الحرب الأهلية وتداعياتها الإقليمية.

فالقرار الأوروبي بإعادة تفعيل اتفاقية التعاون مع دمشق لا يعكس فقط اعترافا بواقع سياسي جديد بعد سقوط نظام بشار الأسد، بل يكشف أيضا عن تحوّل في مقاربة بروكسل التي باتت ترى في استقرار سوريا ضرورة أمنية واستراتيجية مرتبطة بأمن المتوسط وأزمة الهجرة ومستقبل النفوذ في الشرق الأوسط.

واتفق وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي الاثنين على استئناف العلاقات التجارية مع سوريا وعودة العمل باتفاقية التعاون التي جرى تعليقها في عام 2011، عندما تحولت الانتفاضة ضد الرئيس آنذاك بشار الأسد إلى حرب أهلية استمرت 14 عاما.

> الاتحاد الأوروبي يريد الذهاب إلى أبعد من إعادة العلاقات التجارية من خلال مفاوضات لإبرام اتفاق شراكة أكثر طموحا

وقال مجلس الاتحاد الأوروبي، الذي يمثل الدول الأعضاء التي اجتمع وزراء خارجيتها في بروكسل، إن القرار يمثل خطوة مهمة نحو تعزيز العلاقات الثنائية بين الاتحاد الأوروبي وسوريا.

وجرى رفع معظم العقوبات الغربية العام الماضي عن سوريا، التي تسعى إلى الاندماج مجددا وعلى نحو أوسع في المجتمع الدولي تحت قيادة الرئيس أحمد الشرع، الذي قاد تحالفا من الفصائل الإسلامية أطاح بالأسد في نهاية عام 2024.

ومن شأن عودة العمل باتفاقية التعاون رفع القيود المفروضة على استيراد بعض السلع السورية، بما في ذلك النفط والمنتجات النفطية، فضلا عن الذهب والمعادن النفيسة والألماس.

وقال المجلس الأوروبي إن القرار "يرسل إشارة سياسية واضحة" على مدى التزام الاتحاد الأوروبي بالتواصل من جديد مع سوريا ودعم تعافيها الاقتصادي.

ويسعى الاتحاد الأوروبي إلى تفعيل تعاونه مجددا مع سوريا دعما لاستقرار هذا البلد بعد سنوات الحرب الطويلة، على أمل أن يساهم ذلك في عودة اللاجئين السوريين المقيمين في دول الاتحاد إلى بلدهم.

وقال أحد دبلوماسيي الاتحاد الأوروبي في بروكسل "نحن بحاجة إلى أن تنجح الحكومة السورية الانتقالية في إرساء الاستقرار في بلدها، لأن ذلك يصب في مصلحتنا".

وخلال مشاركته في افتتاح أعمال "منتدى تنسيق الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وسوريا" في بروكسل أكد وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني أن بلاده "التي تخرج من حقبة مديدة من الحرب والعزلة" تمتلك زمام إرادتها، وشدد على أنها "لا تطلب من العالم أن يدير مستقبلها نيابة عنها".

وقال الشيباني إن "سوريا التي نتحدث عنها اليوم تختلف جذريًا عن تلك التي كانت قبل عام ونصف، حيث نعمل على تعزيز الاقتصاد السوري وتشجيع الاستثمار وتوفير السكن اللائق وتعزيز مؤسساتنا الوطنية".

وتابع "لقد حمل شعبنا عبء البقاء بالفعل، واليوم ينصبّ تركيزنا على التعافي وإعادة الإعمار واستعادة الثقة بمؤسسات الدولة".

وشدد على أن "سوريا المستقرة تسهم في استقرار منطقة المتوسط وأوروبا"، لافتا إلى أن بلاده "لا يمكن أن تستقر دون تحقيق التعافي وإعادة بناء المؤسسات وتوفير الخدمات كي يعود السوريون إلى قراهم بكرامة".

وكانت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين وعدت بعد لقائها الرئيس السوري أحمد الشرع في دمشق في مطلع يناير بأن تبذل أوروبا "كل ما في وسعها" للمساعدة في إعادة إعمار سوريا.

وقبل تعليق العمل باتفاقية التعاون، كان حجم التبادل التجاري بين سوريا والاتحاد الأوروبي يبلغ نحو سبعة مليارات يورو. وفي العام 2023، انخفضت واردات الاتحاد الأوروبي من سوريا إلى 103 ملايين يورو، وصادراته إلى 265 مليون يورو.

ويريد الاتحاد الأوروبي أيضا الذهاب إلى أبعد من ذلك من خلال الشروع في مفاوضات لإبرام اتفاق شراكة أكثر طموحا، على غرار ما سبق أن فعل مع دول أخرى في المنطقة كمصر وإسرائيل ولبنان.

لكنّ بروكسل تقرّ بأن هذه المفاوضات ستستغرق وقتا طويلا، وهي تاليا تريد أن تُسهّل لدمشق الاستحصال على التمويل، باعتباره عاملا أساسيا لتحفيز الاقتصاد.

ويعتزم الاتحاد أيضا مساعدة المزارعين السوريين من خلال توفير مضخات للري مثلا. وسيوقع كذلك اتفاقا في مجال الصحة يتيح إعادة تأهيل مستشفى بالغ الأهمية في منطقة حمص، وفقا لما أفاد مسؤول في الاتحاد.

وتولي بعض دول الاتحاد الأوروبي أهمية كبيرة لاستعادة سوريا استقرارها، إذ تستضيف مئات الآلاف من السوريين الذين تركوا بلدهم بسبب الحرب.

ولجأت الغالبية الكبرى من هؤلاء إلى ألمانيا التي شكلت ملاذا آمنا لنحو مليون منهم. ويدعو المستشار الألماني فريدريش ميرتس في الوقت الراهن إلى تشديد سياسة الهجرة، في ظل تنامي قوة اليمين المتطرف.

وفي مطلع أبريل الماضي، أعرب ميرتس بعد استقباله الشرع في برلين عن رغبة ألمانيا في عودة 80 في المئة من هؤلاء اللاجئين إلى بلدهم خلال السنوات الثلاث المقبلة، ثم عاد وصحح تصريحه موضحا أن هذا ما يريده الرئيس السوري نفسه.

مطار بن غوريون «الأميركي» يثير جدلا في إسرائيل

الوجود العسكري الأميركي داخل المطار يؤخر عودة شركات الطيران الأجنبية

تل أبيب - حذر رئيس هيئة الطيران المدني الإسرائيلي شموئيل زكاي، الاثنين، من أن مطار بن غوريون الدولي تحول فعليا إلى "قاعدة عسكرية أميركية"، ما تسبب باضطراب كبير في عمل شركات الطيران وقطاع الطيران المدني.

وقالت صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية إن زكاي أبلغ وزيرة النقل ميري ريغيف والمدير العام للوزارة موشيه بن زاكين، بأن الوجود العسكري الأميركي داخل المطار الرئيسي بإسرائيل يعيق الرحلات المدنية، ويؤخر عودة شركات الطيران الأجنبية، ويرفع أسعار التذاكر قبيل موسم السياحة والصيف.

وخلال الأسابيع الأخيرة، نشرت وسائل إعلام إسرائيلية صورا لعشرات الطائرات الحربية الأميركية، بينها طائرات تزويد بالوقود داخل مطار بن غوريون، في خضم الصراع الدائر مع إيران.

ونقلت الصحيفة عن زكاي قوله في رسالته إن "تحويل مطار بن غوريون الدولي الرئيسي إلى قاعدة عسكرية يضر بعودة شركات الطيران الأجنبية ويهدد الاستقرار المالي لشركات الطيران الإسرائيلية".

وأضاف أن التوتر الإقليمي المستمر منذ اندلاع الحرب على إيران في 28 فبراير، أثر بشكل كبير على حركة الطيران المدني، إذ نقلت شركات الطيران الإسرائيلية العديد من طائراتها إلى الخارج، ولم تُعدها جميعها إلى الآن.

وأفاد زكاي بأن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تفتقر إلى الفهم الكافي لخطورة الضرر الذي لحق بالطيران المدني وتأثير عدد الرحلات على الأسعار وعلى جميع مواطني البلاد.

وأضاف أن "المؤسسة العسكرية تعيق وزارة النقل عن أداء دورها ومسؤوليتها"، مشيرا إلى أن إسرائيل لا تملك مطارا دوليا قادرا على العمل بكفاءة، "لقد تحول مطار بن غوريون إلى قاعدة عسكرية ذات نشاط مدني محدود".

كما حذر من أن الوضع الحالي يشكل "تهديدا حقيقيا" لاستقرار شركات الطيران الإسرائيلية الصغيرة، مثل "إسراير" و"أركياع" و"إير حيفا"، في ظل ارتفاع تكاليف التشغيل والوقود وتزايد الطلب على الرحلات الجوية.

ودعا المسؤول الإسرائيلي إلى نقل الطائرات الأميركية من مطار بن غوريون إلى قواعد عسكرية أخرى، مؤكدا أن استمرار الوضع الحالي "لا يضر شركات الطيران فحسب، بل يضر جميع مواطني البلاد".

> التوتر الإقليمي أثر على حركة الطيران المدني، إذ نقلت شركات طيران إسرائيلية العديد من طائراتها إلى الخارج

ونقلت الصحيفة عن الرئيس التنفيذي لشركة "إسراير" أوري سيركيس قوله أمام لجنة الشؤون الاقتصادية في الكنيست، إن الشركة التي كانت تُبقي عادة 17 طائرة في مطار بن غوريون، لا يسمح لها حاليا إلا بركن 4 طائرات فقط ليلا.

وأوضح أن هذا الوضع يُؤدي إلى ارتفاع أسعار الرحلات الجوية، ويُقلل من عدد الرحلات التي يُمكن لشركات الطيران الإسرائيلية تسييرها.

وتأتي هذه التطورات في ظل تصاعد الحضور العسكري الأميركي داخل إسرائيل، بالتزامن مع استمرار التوتر الإقليمي المرتبط بالحرب على إيران واحتمالات تجدد المواجهة العسكرية.

عسكرة «بن غوريون»

صانور مستوطنة يعود إليها إسرائيليون بعد مرور عقدين على تفكيكها

اتفاق مرتقب في الاتحاد الأوروبي لفرض عقوبات على المستوطنين الإسرائيليين

صانور (الضفة الغربية) - في منزله الجاهز ومسبق الصنع في مستوطنة صانور في الضفة الغربية المحتلة، يقول المستوطن مئير غولدمينتز إن العودة إلى المستوطنة هو "حُلم عمره عشرون عاما تحقّق".

وتقع المستوطنة الإسرائيلية الصغيرة قرب قرى فلسطينية في شمال الضفة الغربية التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1967. في عام 2005 فُكّكت مع ثلاث مستوطنات أخرى، بالإضافة إلى مستوطنات في قطاع غزة حين انسحبت منه إسرائيل. وتحمل عودة المستوطنين إليها دلالة رمزية كبيرة.

وتكرس هذه العودة واقع تراجع جهود السلام وتقلل فرص إقامة دولة فلسطينية. في المقابل يزعم غولدمينتز وجيرانه الذين يسكنون اليوم في بيوت بيضاء جاهزة (كرافانات) ومتشابهة، أن عودتهم إلى المستوطنة هي "تصحيح تاريخي"، مؤيدين بذلك العبارة التي أطلقها وزير المال اليميني المتطرف بتسلئيل سموتريتش.

ويقول غولدمينتز إن شقيق سموتريتش "يسكن في المنزل المجاور لنا"، وكذلك رئيس مجلس مستوطنات الضفة الغربية يوسي داغان الذي كان من بين من أُخرجوا من المستوطنة قبل 20 عاما.

وتعتبر المستوطنات غير قانونية بموجب القانون الدولي، ومن المتوقع أن تتوصل دول الاتحاد الأوروبي الاثنين إلى اتفاق لفرض عقوبات على المستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية المحتلة.

وتشكل هذه الخطوة محاولة للضغط على إسرائيل، لكن من غير الوارد أن يكون لها تأثير كبير على النهج الاستيطاني. ويقول غولدمينتز، وهو معلّم في مدرسة يهودية والوحيد الذي وافق على التحدّث إلى وكالة فرانس برس، "لا أريد أن يعتقد الناس أنني شخص مميز، قصتي الشخصية لا تهم، القصة الحقيقية هي عودة الشعب اليهودي".

عند الانسحاب من المستوطنة في عام 2005 لم يكن غولدمينتز يسكن هناك، لكنه انضم إلى التظاهرات التي نظمها مستوطنون متشدّدون يدعون إلى إقامة "إسرائيل الكبرى" حيث لا مكان للفلسطينيين ولا حتى لاسم فلسطين.

ولا يلفظ هذا المُدرّس ذو اللحية الكثيفة والذي يعتمر القلنسوة، كلمة فلسطينيين، بل يقول إن "العرب" لا مكان لهم في المنطقة. وما زالت المستوطنة قيد الإنشاء، ويعكف العمال على تجهيز أعمدة الكهرباء، فيما تشقّ الجرافات الطريق، ويمتد شارع معبّد بمحاذاة نحو عشرة منازل جاهزة ولونها أبيض.

خارج أبواب المنازل دراجات هوائية لأطفال وغسيل منشور وأرجوحة معلقة وموقد شواء وألعاب. أما المنازل من الداخل فهي بسيطة. ويقول غولدمينتز إن مساحة المنزل "تسعون مترا مربعا"، مشيرا إلى أنه أصغر بكثير وأقل راحة من منزله السابق في مستوطنة أخرى.

ويعيش المستوطن مع زوجته وسبعة من أطفاله الثمانية، إذ إن ابنته الكبرى متزوجة، وتزيّن صورها بابي الثلاجتين الموجودتين في البيت. لا توجد أي زينة على الجدران، فقط رفوف مليئة بالكتب الدينية، وبيانو مغطى بغطاء بلاستيكي، وأريكة. من النافذة يمكن رؤية بيوت حجرية وبساتين زيتون تغطي التلال المحيطة.

> البؤر الاستيطانية والطرق الالتفافية حولتا الضفة إلى بقعة مجزأة من المناطق الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية

ويقول المستوطن "كلها قرى عربية، لا أعرف لماذا هم هنا، هذه أرض يهودية". على جدار مهجور في الجوار، كُتبت عبارتا "فلسطين" و "المقاومة ستعود".

في الضفة الغربية التي تتآكل مساحتها يوما بعد يوم جراء الاستيطان الجائر ومصادرة الأراضي، يعيش أكثر من نصف مليون إسرائيلي بين ثلاثة ملايين فلسطيني على أرض يطمح الفلسطينيون لأن تكون دولتهم المستقبلية.

لكن المستوطنات والبؤر الاستيطانية والطرق الالتفافية حوّلتها إلى بقعة مجزأة من المناطق الخاضعة بدرجات متفاوتة للسيطرة الإسرائيلية، ما يضعف أكثر فأكثر إمكانية التوصل إلى حلّ تفاوضي قائم على حلّ الدولتين.

في السنوات الأخيرة ارتفعت وتيرة المصادقة على مستوطنات جديدة بشكل كبير في ظل الحكومة الحالية برئاسة بنيامين نتنياهو التي تُعد من أكثر الحكومات يمينية في تاريخ إسرائيل.

وبحسب منظمة "السلام الآن" الإسرائيلية غير الحكومية، ارتفع عدد المستوطنات الجديدة التي نالت موافقة، من ثلاث فقط بين عامي 2013 و2022، إلى 54 مستوطنة في عام 2025، و34 أخرى منذ مطلع العام الحالي.

وقال وزير المال سموتريتش الشهر الماضي "نحن... ندفن فكرة الدولة الفلسطينية". ومع ذلك، يصرّ غولدمينتز على أن أحدا في المنطقة لا يُظهر العداء لهم.

العودة إلى المستوطنة: تصحيح أم تزييف للتاريخ

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

هندسة «الضجيج المنظم»: مزارع المحتوى الرقمي وآليات تصفية الوعي السيادي

تفكيك شيفرة الزيف المبرمج وتهديد الأمن المعرفي

بينما تعيش المنطقة العربية على وقع الحروب والانقسامات والأزمات الإنسانية، تتكاثر في الظل "مزارع المحتوى" التي تعيد تدوير الألم الجماعي وتحوله إلى مادة استهلاكية تُباع على منصات المشاهدة والتفاعل.

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة باريس 8

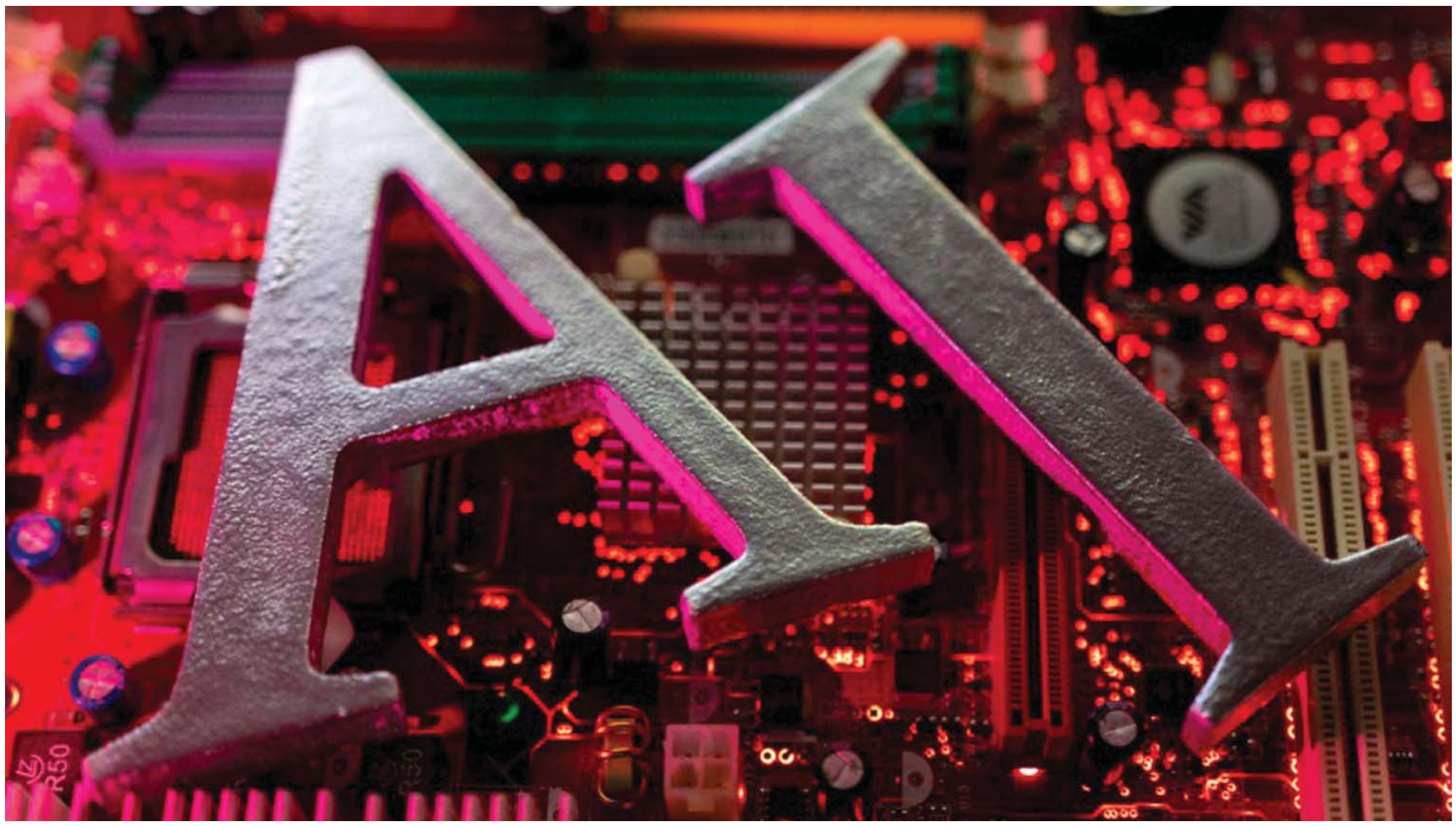

الهباء الرقمي يستنزف الوعي والسيادة المعرفية

توقف عن القراءة للحظة... هل أنت متأكد تماماً أن ما تراه عيناك الآن، وما انتابك من حسرة، تعاطفاً مع "مشهد إنساني" مرّ بلمحة بصر على شاشتك... كان حقيقة؟ مرحباً بك في عصر "الهباء الرقمي"، حيث لم تعد العديد من المآسي العربية مجرد جرح نازف، بل تحولت إلى "مادة خام" تُباع وتُشترى في بورصة الخوارزميات. ففي الوقت الذي تحترق فيه غزة وسط الركام، ويئن لبنان تحت وطأة القصف، ويغرق السودان في نزيفه المنسي، فيما يتم شيطنة منطقة الخليج لرسم صورة ذهنية لها بأنها "مناطق خطر دائم"، تنشط مزارع الذكاء الاصطناعي لتوليد آلاف الصور والفيديوهات "المفخخة" بملامح درامية زائفة، ليس دعماً للقضية، بل لحصد النقرات وتوجيه الدعم لمواقع وهمية تقتات على جراحنا.

إننا لا نواجه مجرد أخبار كاذبة، بل نواجه "محرقة للمعلومات" تُدار بمليارات الدولارات، ووقودها وعينا الشخصي. إن خلف كل نقرة "إعجاب" نقوم بها عفوياً بوازع من انتماء وطني أو ديني، يختبئ جيشٌ من المرتزقة الرقميين الذين يحولون صرخات الضحايا إلى دولارات رقمية في حسابات عابرة للحدود.

إن هدفهم الأسمى ليس إقناعك بالكذب (نقل الخبر الحقيقي من بغداد أو غزة يتطلب شجاعة ودماء، أما توليد صورة بالذكاء الاصطناعي فلا يتطلب سوى "أمر" وجهاز كمبيوتر)، بل إيصالك إلى مرحلة "إنهاك عقلي" يعمي البصيرة، وتفقد فيها القدرة على التمييز بين ركام الحقيقة وهباء التزييف، لتتحول في النهاية إلى مجرد "ترس طيّع" في ماكينة ربح لا تقيم وزناً للأخلاق أو الأمن المجتمعي، بينما تترك عقلك نهباً لضجيج لا ينتهي، وسط ركام الزيف المنهج: إنها تجارة الألم في "محرقة المعلومات".

خُمس المحتوى الموصى به عالمياً أصبح مولداً آلياً، مما جعل الإبداع البشري الأصيل يتوارى خلف حجاب من الضجيج الخوارزمي

ذلك أن إغراق الفضاء السيبراني بمحيط من المحتويات التي تجمع بين التسلية وانعدام القيمة، بات تهمة ملاصقة لما يُعرف بـ"اقتصاد الهباء الرقمي".

والمقصود هنا هو الإنتاج الكثيف والآلي للصور ومقاطع الفيديو والنصوص التي يولدها الذكاء الاصطناعي التوليدي بغاية توليد أرباح طائلة، حيث يمثل هذا "الهباء" النسخة المتطورة من "البريد العشوائي" قديما، لكنه أكثر رداءة واستشراءً. ومن ثم، تحول هذا المصطلح إلى مفهوم تقني رصين بعد أن تصدّر قوائم الكلمات الأكثر تأثيراً لعام 2025 من قبل "ميريام ويبستر" أقدم ناشر للقواميس في الولايات المتحدة. ويشير اليوم إلى تلك "الفضلات الرقمية" التي تُبث بكثافة بهدف الذيوع الكاسح وتحسين تصدر المنصات في محركات البحث عبر فخاخ المشاهدة، دون أدنى مراعاة للمنطق أو الحقيقة.

من «الريشة الرقمية» إلى «صناعة التضليل السيادي»

منذ عام 2022، ومع بزوغ فجر النماذج القادرة على تحويل الأوامر النصية إلى واقع مرئي مثل "دال – إي"، شهدنا تحولاً جذرياً في مفهوم الخلق البصري. وما بدأ كـ"ريشة رقمية" تمنح المبدعين آفاقاً لا نهائية، سرعان ما انحرف ليصبح وسيلة لإنتاج محتوى عبثي يفتقر إلى المعنى. بيد أن الخطر الحقيقي يكمن في توظيف هذا الإنتاج الرديء في "الأروقة السياسية"، لينتقل من فضاء السخرية إلى إستراتيجية منظمة تُعرف بـ"صناعة التضليل"، حيث يتم إغراق المنصات بمحاكاة خادعة تبدو حقيقية للوهلة الأولى، لكننا أمام "نفايات مفخخة" تُلقى في طريق الحقيقة لتعطيل الوعي العام وتشتيت الانتباه لخدمة أجندات مجهولة المصدر والمعنى.

كذلك يتخذ هذا الاقتصاد طابعا أكثر خطورة في عالمنا العربي، إذ يتم استغلال العمالة الرقمية المحلية لإنتاج "هباء" مصمم خصيصا لاختراق الوعي الجمعي العربي. فبدلا من المحتوى العبثي العام، يتم توليد قصص وصور ومنشورات تلامس الوجدان الديني والوطني أحيانا أو تخاطب الغرائز والأهواء أحيانا آخر. كما تستغل أزماته السياسية والاجتماعية لتوليد تفاعلات مليونية. إن هذا "التوطين الخبيث" للهباء الرقمي يحول منصاتنا إلى ساحات لتجارة المشاعر، ويجعل من المستخدم العربي وقوداً لمحركات أرباح لا تراعي أمنه المعرفي.

عصر «ما بعد الحقيقة» واختراق الوعي الجمعي

لقد أثبتت هذه الظاهرة دخولنا عصر "ما بعد الحقيقة"، حيث لم يعد اليقين مرتبطا بالرؤية البصرية، ولم يعد قول "رأيت ذلك بعيني" دليلا كافيا. إذ تشير الأبحاث الصادرة عن مراكز مراقبة المحتوى الرقمي (مثل منصة ميديا ميتري) إلى ظهور شبكة عنكبوتية تضم 251 موقعا إخباريا وهميا لا يديرها صحفيون بشر، بل تُدار بالكامل عبر برمجيات الذكاء الاصطناعي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه المواقع، التي تنتشر خوادمها غالبا في مناطق بعيدة، نجحت في استقطاب قرابة 16 مليون زائر شهريا عبر نشر عناوين مثيرة ومضللة في مصانع الأخبار الموجهة الشبيهة بمزارع رقمية.

إن خطورة هذه المواقع لا تكمن فقط في تزييف الحقائق، بل في قدرتها على توليد تدفقات مالية ضخمة من عوائد الإعلانات الآلية، حيث يتم تمويل "التضليل" من ميزانيات الشركات الكبرى، أما في جغرافيتنا العربية، فتتخذ الظاهرة منحىً أكثر خطورة، حيث تبرز "الحسابات الآلية الموجهة" (أو ما يُعرف بالذباب الإلكتروني) التي تتقن فن اللعب على أوتار الوجدان الديني والوطني لبث هذا "الهباء". وبسبب فجوة الوعي الرقمي، يندفع المستخدمون لمشاركة هذه الصور والفيديوهات فوراً كفعلِ انتماء، ودون إدراك، مما يجعل المجتمع عرضة للاستقطاب الحاد والاضطراب المعرفي عند كل منعطف سياسي أو اجتماعي.

تداخل الغايات: حين يلتقي «الجشع» بـ«الأجندة»

على الرغم من التقاطع الظاهري، لا بد من التمييز الدقيق بين "مزارع الربح الرقمية" التي يقودها محرك مادي بحت يسعى لتحويل الانتباه إلى "عملة رقمية" عبر الإثارة، وبين "مزارع التسييس" والتدجين التي تمثل أذرعا استخباراتية تسعى لهدم "السيادة الذهنية". فبينما يكتفي جيش المرتزقة الرقميين باختطاف وعيك للحصول على فتات الإعلانات، تعمل غرف "التضليل السيادي" على إعادة هيكلة قناعاتك وتفتيت جبهتك الداخلية. إلا أن الخطورة تكمن في "التحالف غير المقدس" بينهما، إذ غالباً ما تستغل الأجندات السياسية تلك البنية التحتية الجاهزة لمزارع الربح، لتمرير سمومها عبر قنوات "الهباء" التي يثق بها المستخدم عفوياً، ليصبح الجشع المادي هو الناقل والوقود لعمليات تخريب الوعي المنظمة.

ولعل السؤال الأكثر إلحاحاً: لماذا يسقط المستخدم العربي ويبتلع الطعم، رغم ذكائه الفطري، في فخ محتويات تبدو أحياناً غارقة في اللامنطق؟ التفسير يكمن في ما يسميه علماء النفس بـ"الانحياز التأكيدي الرقمي"، إذ تدرك الخوارزميات بدقة ميل الإنسان الفطري لتصديق كل ما يدعم معتقداته المسبقة أو يُغذي غضبه تجاه خصومه. وفي حالات الأزمات الملتهبة، تتوقف "المصفاة الذهنية" عن العمل لصالح "العقل العاطفي". ومن هنا يبرز سؤال آخر: كيف يمكن للوعي الشعبي العربي أن يطوّر "مضادات حيوية" ضد هذا الزيف، أم أن بريق الشاشات أعمى البصائر عن أيّن الواقع؟

هنا، لا يعود المستخدم يبحث عن "الحقيقة"، بل يبحث عن "الانتصار لفكره"، فيشارك صورة مفبركة أو خبراً زائفاً ليس لأنه يُصدقه بالضرورة، بل لأنه يخدم السردية التي يتبناها. هذا السلوك هو الثغرة الأمنية الكبرى التي تنفذ منها "حسابات الذباب الإلكتروني"، فهي لا تخاطب عقولنا، بل تستهدف "مناطق المكافأة" في أدمغتنا، مُحولةً منصات التواصل من فضاء للحوار إلى "غرف صدى" يتردد فيها صدى الأكاذيب حتى تصبح في عين الجماعة يقيناً لا يقبل الشك، مما يجعل عملية استعادة الوعي النقدي معركة شاقة تتطلب أكثر من مجرد قوانين زجرية.

المنظومة الاقتصادية للهباء: الاستثمار في العبث وانهيار «المتن التقني»

يكمن سر استشراء هذا النمط في انخفاض كلفة الإنتاج مقابل ضخامة العوائد، مما خلق سوقاً موازياً يدمج بين التقنيات المتقدمة والعمالة الهشة. ففي سياق التحولات الهيكلية لسوق العمل، وجد "الهباء الرقمي" بيئة حاضنة ضمن ما يُعرف بـ"اقتصاد الأعمال الصغيرة والمرنة"، حيث تحول إنتاج هذا المحتوى إلى ملاذ اقتصادي لفئات فقيرة في الدول النامية (كالهند وفيتنام ودول شرق أوروبا) ، وأغرى هذا النموذج الطلاب والعاطلين عن العمل وربات البيوت بالانخراط في "مزارع المحتوى الرقمي" لإنتاج كميات هائلة من الزيف مقابل أجور زهيدة. ووفقاً لبيانات عام 2026، تتجسد مخاطر هذه المنظومة في المؤشرات الإستراتيجية التالية:

● **نزيف الميزانيات السيادية:** تشير تقديرات مجلة "فوربس" إلى أن تكلفة الطاقة الحوسبية والرقائق اللازمة لتشغيل نماذج الفيديو المتقدمة لإنتاج هذا الهباء تتجاوز 5 مليارات دولار سنوياً، وهو رقم يضاهي الميزانيات السنوية لبعض الدول الناشئة.

● **عائدات مزارع الزيف الرقمية:** سجلت بعض القنوات الهندية الآلية عائدات تتجاوز 4.25 مليون دولار سنوياً عبر حصاد أكثر من مليارَي مشاهدة، مما يحفز العمالة المستقلة على هجر الإنتاج الحقيقي لصالح "الربح من العبث".

● **تلوث المحيط المعرفي:** كشف تقرير منصة "كاوبينغ" (2025) أن خوارزميات التوصية تدفع بـ21 في المئة من المحتوى الآلي إلى واجهات المستخدمين، بينما تستقبل منصات الموسيقى 50.000 مقطع مولد برمجيا يوميا.

● **انحسار الوعي الدفاعي:** أثبتت الدراسات أن 65 في المئة من المستخدمين فقدوا القدرة على التمييز البصري بين الواقع والفبركة، مما منح صناعة التضليل جمهورا يفوق المؤسسات الإعلامية التقليدية.

إن هذا الاعتماد على العمالة الهشة يؤدي في نهاية المطاف إلى كارثة تغذية الذكاء الاصطناعي بنتائجه الخاصة، وبالتالي تُشوه المعلومات تدريجياً، مما يهدد بتآكل الرصيد اللغوي والمعرفي وتحويله إلى تكرار بائس يشبه "لعبة الهاتف" القديمة.

● **جيوسياسية الهباء:** التبعية الرقمية الجديدة وصراع "السيادة المعلوماتية"

إن ما نرقبه اليوم ليس مجرد خلل تقني عابر، بل هو إعادة هندسة لخرائط النفوذ الجيوسياسي عبر ما يمكن تسميته بـ"التبعية المعرفية"، إذ لا يخفى في هذا المشهد، بروز فجوة سيادية خطيرة، فبينما تمتلك القوى التكنولوجية الكبرى "مفاتيح التشغيل" ومختبرات الفرز، يُترك الفضاء العربي كساحة مفتوحة لتجارب "الهباء الموجه" الذي يستنزف الطاقة الذهنية للشعوب ويعيد صياغة أولوياتها الوطنية وفق خوارزميات صماء لا تنتمي إلى ثقافتها. تتجلى "جيوسياسية الهباء" في قدرتها على خلق حالة من "الفوضى المعلوماتية المنظمة"، حيث يُستخدم المحتوى التافه والمُضلل كدخان كثيف يحجب الرؤية عن التحركات الإستراتيجية الحقيقية على الأرض.. ناهيك عن تحويل المجتمعات من قوى فاعلة إلى مجرد "مختبرات استهلاكية" للزيف ولصالح فواعل رقمية غير مرئية تُدير اللعبة من خلف البحار.

طبقية الإنترنت وتكلفة السيادة الرقمية

تشير التقارير إلى أن خُمس المحتوى الموصى به عالمياً أصبح مولداً آلياً، مما جعل الإبداع البشري الأصيل يتوارى خلف حجاب من الضجيج الخوارزمي. ويرى المحللون أننا نتجه نحو "انقسام طبقي رقمي": فضاء مدفوع الثمن يتسم بالرصانة والحقائق الموثقة، وفضاء مجاني غارق في "هباء" مضلل. وبالتالي، فإن غياب الشفافية في "المتن البرمجي" لهذه الأدوات يجعلنا أمام تحدٍ أمني يتجاوز مجرد التكنولوجيا ليصل إلى صلب العمل السيادي. ومع ذلك، فإن طوفان "الهباء الرقمي" ليس قدراً محتوماً، والرد عليه لا ينبغي أن ينزلق نحو الرقابة القمعية التي تخنق الحريات الرقمية، بل عبر صياغة ميثاق لـ"السيادة المعرفية" في مواجهة التزييف، يقع على كاهل المؤسسات الإعلامية والثقافية الرصينة، ويرتكز على ثلاث ركائز سيادية:

● **الشفافية الخوارزمية:** فرض تشريعات تُلزم المنصات العالمية بوضع "وسم رقمي" واضح على أي محتوى مولد آلياً، لضمان حق المستخدم في معرفة مصدر ما يستهلكه.

● **الاستثمار في الذكاء الدفاعي:** ضرورة بناء أنظمة ذكاء اصطناعي سيادية تكون مهمتها "كشف الزيف" وتفكيك مزارع التضليل في مهدها، تماماً كما تُبنى منظومات الدفاع الجوي لحماية الأجواء.

خطورة المواقع لا تكمن فقط في تزييف الحقائق، بل في قدرتها على توليد تدفقات ضخمة من عوائد الإعلانات الآلية

● **إعادة بناء الوعي النقدي:** دمج الثقافة الرقمية والمناعة الفكرية كركيزة أساسية في المنظومات التعليمية، لتمكين الأجيال القادمة من "غربلة" الغث من السمين. لذلك، إن المعركة اليوم ليست مع الآلة، بل هي معركة استعادة السيادة على عقولنا ومشاعرنا. فالتكلفة الباهظة لإنتاج هذا الزيف قد تعجل بنهايته تقنياً، ولكن يبقى الوعي البشري النقدي هو الحصن الأخير الذي لا يمكن اختراقه في عصر الآلة.

لذلك، إن مواجهة هذا "الهباء" لا تتحقق بالنكوص عن التقنية ولا رفع مقص الرقيب في وجهها، فلها ألف وجه، بل بامتلاك أدواتها، فمقابل مزارع التضليل، برزت "المصادر الرقمية المفتوحة" التي وظفت الذكاء الاصطناعي لتدقيق الأدلة الجنائية وكشف تزييف السرديات المعادية في غزة والسودان ولبنان. لذا، لم يعد بناء "سحابة سيادية عربية" مجرد ترف تقني، بل ضرورة أمنية لفك الارتباط بخوارزميات "وادي السيليكون" التي تفرض وصايتها على المعنى. إن الانتقال من "الأمن السيبراني" الذي يحمي الأجهزة، إلى "الهندسة المعرفية العكسية" التي تفكك شيفرات التلاعب النفسي، هو السبيل الوحيد لتحويل المستخدم العربي من ضحية لـ"اقتصاد النقرات" إلى فاعل في بيئة رقمية تحترم الحقيقة وتصون الوعي الجمعي.

هذا الواقع يفرض على العواصم العربية ضرورة الانتقال من "الأمن السيبراني" التقليدي (حماية الشبكات) إلى "الأمن المعرفي السيادي" (حماية العقول)، عبر بناء درع رقمي يحمي الحقيقة من التبخر في سديم الآلة العابرة للحدود.

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

موسم مُبشر للقمح يختبر صمود المزارعين السوريين

وفرة الإنتاج وتدفق مياه الخابور في الحسكة تقابلهما تحديات ارتفاع تكاليف الوقود

في ظل موسم يُوصف بالمبشر لإنتاج القمح في سوريا، يجد المزارعون أنفسهم أمام اختبار حقيقي لقدرتهم على الصمود، حيث تتقاطع وفرة المحصول مع تحديات متزايدة تثقل كاهلهم، إذ تبرز مخاوف من ارتفاع تكاليف الإنتاج وتقلبات الأسعار، ما يجعل هذا الموسم، رغم إيجابيته، محطة حاسمة لمستقبل الزراعة في البلاد.

جني المحصول مُكلف

الحسكة (سوريا) - يحدو المزارعينَ في سوريا أملٌ في تحقيق بعض المكاسب هذا الموسم، في ظل تحسن وفرة المياه لإنتاج الحبوب، على الرغم من استمرار تحديات التغير المناخي التي تهدد معظم منطقة الشرق الأوسط.

وللمرة الأولى منذ سنوات، عادت المياه للتدفق في أجزاء من نهر الخابور في محافظة الحسكة شمال شرق سوريا، لتنعش حقولا عانت طويلا من الجفاف والحرب والإهمال، وتجدد أمل الفلاحين في تعاف مرتقب للبلاد.

وتمتد حقول القمح الخضراء على السهول المحيطة حتى الأفق، مانحة المزارعين شعورا نادرا بالتفاؤل بعد سنوات من الصراع والمعاناة الاقتصادية والجفاف نتيجة تغيرات المناخ.

وفي المناطق الشرقية والشمالية، أحد أهم السلاسل الغذائية التقليدية، يسير المزارعون بين حقول القمح الكثيفة المتماوجة، والتي غذتها الأمطار الغزيرة التي شهدتها البلاد هذا العام، آملين أن يكون حصاد هذا العام بداية لانتعاش أوسع لقطاع الزراعة المتعثر.

وبحسب وزارة الزراعة، فقد زرع في هذا الموسم حوالي 92 في المئة من المساحة المخطط لها للقمح، وهو واحد من أعلى المعدلات منذ عقود، إذ تشكل المناطق الشرقية 60 في المئة من مساحات الزراعة، وتأتي الحسكة وحدها بنسبة 35 في المئة من الخطة الوطنية.

ويؤكد مسؤولون من بينهم سعيد إبراهيم، مدير الاقتصاد والتخطيط الزراعي في وزارة الزراعة، أن "أرقام هذا العام لافتة للغاية".

سعيد إبراهيم

أرقام هذا العام لافتة للغاية بالمقارنة مع آخر عقدين

وأضاف في حديث لوكالة شينخوا "تمكنا من تحقيق معدل تنفيذ بلغ 92 في المئة لمحصول القمح، وبالمقارنة مع العشرين عاما الماضية، يعد هذا أحد أفضل معدلات التنفيذ التي تم تحقيقها".

ويعيش البلد على وقع أزمة اقتصادية ومالية خانقة بفعل الحرب والصدمات الخارجية، فيما فُقدت بعض المواد الأساسية من الأسواق مع انهيار العملة وارتفاع الأسعار، لتزيد أزمة توفير الحبوب من الواقع الصعب.

ويعاني منتجو القمح منذ سنوات من قلة الموارد المائية ونقص الوقود والأسمدة وارتفاع أسعار البذور، ما بدد فرص حصولهم على بعض الأموال لإدارة شؤونهم في ظل وضع لم يسبق لهم أن مروا به سابقا.

> **550**
> دولارا للطن، المبلغ الذي يطالب به مزارعو المناطق الشرقية لبيع محصولهم إلى الحكومة

ومع ذلك ساهم تحسن هطول الأمطار في مساعدة العديد من المزارعين على تقليل اعتمادهم على الري المكلف، لاسيما مع استمرار ارتفاع أسعار وقود الديزل ومستلزمات الإنتاج الزراعي.

لكنْ، رغم الموسم الواعد، لا يزال المزارعون قلقين بشأن ارتفاع تكاليف الإنتاج، وعدم استقرار أسعار القمح، ومستقبل الزراعة على المدى الطويل في المنطقة.

وفي قرى غرب مدينة الحسكة، يقول المزارعون إن أمطار هذا العام حالت دون وقوع موسم كارثي آخر. ومع ذلك يوضح كثيرون أن ارتفاع أسعار الديزل أجبرهم على تقليص مساحة الأراضي التي يزرعونها بسبب ارتفاع تكلفة الري.

ويصف المزارع محمد حسين العلي من قرية شموكة غربي مدينة الحسكة واقعه وهو ينظر إلى حقله الأخضر المزروع بالقمح، قائلا "لو امتلكت خمسين دونما (5 هكتارات) من الأرض، لما زرعت منها إلا خمسة وعشرين دونما".

وأضاف أن "شراء الديزل بأسعار السوق الحرة، إلى جانب ارتفاع تكاليف قطع الغيار والمعدات الزراعية، يجعل الزراعة غير مجدية اقتصاديا".

وتابع "اليوم، يساورنا القلق بشأن مسألة أخرى، وهي ماذا لو حددت الحكومة سعر الشراء بحوالي 450 دولارا للطن. سنتكبد خسائر كبيرة"، طالبا ألا يقل عن 550 دولارا للطن، ومحذرا من خطر الحرائق ونقص معدات الطوارئ.

ويقر مزارع يدعى إبراهيم بهذه الصعوبات، مؤكدا أن "من بين التحديات الراهنة الارتفاع الحقيقي والواضح في تكاليف الإنتاج الزراعي، بما في ذلك أسعار الأسمدة والبذور".

واستطرد بالقول إن "المزارعين يطالبون بدعم العمليات الزراعية لضمان أن تكون أسعار القمح، في حال شرائها من قبل المؤسسات الحكومية، مماثلة لأسعار السوق العالمية".

وتشكل سنوات الحرب أيضا عقبة إضافية، حيث أجبرت المزارعين على هجر أراضيهم، بينما لا تزال البنية التحتية المتضررة تعيق عودتهم.

ولا تزال قرى بأكملها تفتقر إلى الخدمات الأساسية، مثل الكهرباء والرعاية الصحية والتعليم، مما يجعل من الصعب على المجتمعات الريفية التعافي بشكل كامل.

ووسط مخاوف من عدم الاستقرار الإقليمي الأوسع نطاقا وتداعياته الاقتصادية المحتملة، يحذر إبراهيم من أن استمرار التوترات قد يزيد من تكاليف الإنتاج وأسعار الغذاء العالمية.

ويقول إبراهيم "إذا استمرت الحرب لأكثر من تسعين يوما، فسيؤدي ذلك إلى ارتفاع تكاليف العمليات الزراعية، وإثقال كاهل المزارعين بأعباء إضافية، والمساهمة في ارتفاع الأسعار العالمية، ما سيؤثر في نهاية المطاف على المستهلك السوري".

وفي الوقت نفسه يشير مزارعون آخرون إلى أن غياب الدعم دفع الأجيال الشابة إلى الهجرة إلى المدن أو خارج البلاد.

ويقول رجب الكاظم (70 عاما) من قرية تل صخر "الديزل غال، وشراؤه من السوق يفوق قدرتنا. مخاوفنا هذا العام كثيرة، ونخشى الحرائق، ولا نعرف السعر الرسمي للقمح بعد".

وقبل اندلاع الحرب الأهلية في عام 2011 كانت سوريا تُحقّق اكتفاءها الذاتي من القمح مع إنتاج يتراوح بين 4 و5 ملايين مليون سنويا.

لكن الإنتاج تراجع ليصل إلى 1.4 مليون طن في عام 2014 وفي المواسم التالية تراجع إلى أقل من مليون طن، وتجاوز المليون طن في عام 2021. ومن المتوقع أن يصل إلى 1.3 مليون طن هذا الموسم.

> شراء الديزل بأسعار السوق الحرة، إلى جانب ارتفاع تكاليف قطع الغيار والمعدات، يجعل الزراعة غير مجدية اقتصاديا

ورغم التحديات لا يزال العديد من المزارعين متعلقين بأراضيهم تعلقا شديدا. فبالنسبة إلى الأجيال الأكبر سنا التي عانت سنوات من الجفاف والحرب، تمثل عودة الحقول الخضراء والمياه الجارية أكثر من مجرد انتعاش اقتصادي، بل هي علامة على أن الحياة قد تعود تدريجيا إلى الأرياف.

ويصف المزارع حسين محمد، من قرية البويضة غرب الحسكة، أمطار هذا العام بأنها نعمة بعد سنوات من المعاناة. وقال "لقد رزقنا الله هذا العام بهذا المحصول، وكانت الأمطار غزيرة. وإذا استمرت الظروف على هذا النحو، فسيكون الحصاد وفيرا أيضا".

وأعرب عن أمله في إعادة بناء القطاع الزراعي للحد من الهجرة من المجتمعات الريفية. وهذا يتطلب توفير الديزل والبذور والمعدات الزراعية، حسب قوله.

وبالنسبة إلى شمال شرق سوريا، لا يقتصر موسم القمح هذا العام على الزراعة فحسب، بل هو أيضا مسألة بقاء وتعافٍ وأمل هش في أن تبدأ المناطق الريفية بالتعافي أخيرا بعد سنوات من الحرب والمعاناة.

الأمونيا الخضراء تدعم تحول الطاقة في الأردن

عمّان - يتجه قطاع الطاقة في الأردن خلال السنوات الأخيرة نحو تحولات إستراتيجية متسارعة، قائمة على تعزيز الاعتماد على المصادر المتجددة وتقليل الانبعاثات الكربونية.

وفي هذا الإطار تبرز الأمونيا الخضراء كأحد أبرز الحلول المستقبلية الداعمة لهذا المسار، لما توفره من قدرات في تخزين ونقل الطاقة النظيفة بكفاءة عالية، وربط إنتاج الهيدروجين الأخضر بسلاسل قيمة صناعية وتصديرية جديدة.

ومع توسع المشاريع الاستثمارية في هذا المجال، تحاول البلاد ترسيخ موقعها كمركز إقليمي واعد في اقتصاد الطاقة النظيفة.

وشهد رئيس الوزراء جعفر حسان توقيع أول اتفاقية استثمارية لإنتاج الأمونيا الخضراء في الأردن، بكلفة تقدر بنحو مليار دولار، بين وزارة الطاقة والثروة المعدنية وشركة الأردن للأمونيا الخضراء، وهي ائتلاف إماراتي - بولندي بدعم فني هولندي.

ووقّع الاتفاقية وزير الطاقة والثروة المعدنية صالح الخرابشة، والرئيس التنفيذي لشركة الأردن للأمونيا الخضراء وائل سليمان.

ويعتمد المشروع على إنتاج الهيدروجين الأخضر باستخدام الطاقة الشمسية ضمن نظام مستقل عن الشبكة الكهربائية الوطنية، وبقدرة توليد تصل إلى 550 ميغاواط من الطاقة المتجددة، مدعومة بأنظمة تخزين حديثة.

ويستهدف المشروع إنتاج نحو 100 ألف طن سنويًا من الأمونيا الخضراء، مع توقع الوصول إلى الإغلاق المالي في سبتمبر 2027، والبدء بالتشغيل التجاري في نوفمبر 2030.

محمد الطعاني

المشروع يفتح آفاقًا أوسع للصادرات منخفضة الكربون

ومن المتوقع أن يسهم المشروع في خفض أكثر من 200 ألف طن سنويًا من الانبعاثات الكربونية مقارنة بالإنتاج التقليدي المعتمد على الغاز الطبيعي، بما يعزز التزامات الأردن المناخية في خفض الانبعاثات ودعم التحول نحو الطاقة النظيفة.

ويؤكد خبراء في قطاع الطاقة أن الاتفاقية تمثل خطوة نوعية تعزز موقع الأردن كقوة إقليمية في الاقتصاد الأخضر، وتدعم انتقاله من مستورد للطاقة إلى منتج ومصدر للهيدروجين الأخضر.

وأشاروا إلى أن الاتفاقية تعكس الرؤية في ترسيخ الاقتصاد الأخضر وتعزيز مكانة الأردن كمركز إقليمي للطاقة النظيفة والاستثمارات المستدامة، إلى جانب فتح آفاق تصديرية جديدة، خصوصًا مع تزايد الطلب العالمي على المنتجات منخفضة الكربون.

وأوضحوا أن المشروع يعزز ثقة الشركات العالمية بالبيئة الاستثمارية الأردنية، خاصة أنه ينفذ بشراكة مع ائتلاف بولندي - إماراتي وبدعم فني هولندي.

تم الاتفاق وحان وقت التنفيذ

15 مليار دولار توسع نموذج المشاريع المشتركة في أبوظبي

أبوظبي - عززت حكومة أبوظبي نموذج الشراكة بين القطاعين العام والخاص عبر إطلاق حزم جديدة من المشاريع الإستراتيجية التي تستهدف تعزيز البنية التحتية ودعم النمو الاقتصادي المستدام.

وفي هذا السياق أعلن مكتب أبوظبي للاستثمار ومركز أبوظبي للمشاريع والبنية التحتية الاثنين عن مجموعة مشاريع جديدة بقيمة تصل إلى 55 مليار درهم (نحو 15 مليار دولار).

وتشمل هذه المشاريع قطاعات النقل والبنية التحتية والخدمات الاجتماعية، ضمن رؤية تهدف إلى ترسيخ مكانة الإمارة كمركز عالمي جاذب للاستثمار.

وأوضح عيد العبيدلي، مدير إدارة المساطحة والشراكات بين القطاعين العام والخاص في مكتب أبوظبي للاستثمار، أن الحزمة الجديدة تضم 24 مشروعًا، على أن يتم طرحها تدريجيا خلال عامي 2026 و2027.

ونسبت وكالة الأنباء الإماراتية الرسمية إلى العبيدلي قوله إن هذه الخطوة "تفتح آفاقًا واسعة للاستثمار أمام القطاع الخاص، وتعزز تدفق رؤوس الأموال المحلية والدولية".

وأوضح أن هذه المشاريع تمثل امتدادًا للإستراتيجية طويلة الأمد لإمارة أبوظبي في تطوير بنيتها التحتية، وتعكس قدرتها على تنفيذ مشاريع كبرى بشكل مستمر ومنظم عبر شراكات فاعلة مع القطاع الخاص.

وفي قطاع النقل تتضمن الخطة تنفيذ 11 مشروعًا رئيسيًا للطرق باستثمارات تصل إلى نحو 9.5 مليار دولار، تشمل إنشاء أكثر من 300 كيلومتر من الطرق الجديدة، إلى جانب تطوير الطرق القائمة والأنفاق والتقاطعات وتحسين شبكة الطرق بشكل شامل.

كما خُصص نحو 3 مليارات دولار لتنفيذ خمسة مشاريع في قطاع البنية التحتية، تشمل السدود وأنظمة تخزين المياه والتحكم في الفيضانات وتطوير شبكات تصريف مياه الأمطار، إضافة إلى أعمال تنسيق المدن.

عيد العبيدلي

الخطوة تفتح آفاقًا واسعة للاستثمار أمام القطاع الخاص

وفي قطاع البنية التحتية الاجتماعية تم تخصيص قرابة 2.45 مليار دولار لمشاريع تشمل منشآت رياضية ومرافق صحية متخصصة ومدارس وجامعات، بما يعزز جودة الحياة ويوفر خدمات مجتمعية مستدامة.

وأكد العبيدلي أن أبوظبي تواصل تطوير بنية تحتية متقدمة تدعم النمو الاقتصادي المستدام وتعزز مكانتها كوجهة عالمية للاستثمار، إلى جانب توسيع شراكاتها الإستراتيجية مع القطاع الخاص عبر إطلاق مشاريع كبرى تعكس رؤية طموحة لمستقبل الإمارة.

وأشار إلى أن المشاريع تسهم في جذب الشركات العالمية ودعم "برنامج أبوظبي للمحتوى المحلي"، وتعزيز سلاسل الإمداد وترسيخ القاعدة الصناعية في الإمارة، موضحًا أن برنامج الشراكة يعتمد على إطار تنفيذي واضح يحظى باهتمام متزايد من المستثمرين.

وقال إن "أبوظبي نجحت في ترسيخ نموذج متكامل للشراكة بين القطاعين العام والخاص قائم على أطر تنظيمية واضحة وآليات تنفيذ فعالة، مع توقعات بتوسع أكبر في حجم ونطاق المشاريع خلال المرحلة المقبلة في قطاعات إستراتيجية جديدة".

ويأتي هذا التوجه في إطار جهود مكتب أبوظبي للاستثمار لاستقطاب استثمارات طويلة الأجل وتوجيهها بكفاءة، بما يعزز النمو الاقتصادي ويرفع جاهزية البنية التحتية، ويؤكد مكانة أبوظبي كوجهة استثمارية مستدامة.

وبصفته الجهة المسؤولة عن تنظيم وتنفيذ مشاريع الشراكة، يتولى المكتب بالتعاون مع مركز أبوظبي للمشاريع والبنية التحتية والجهات الحكومية والصناديق السيادية إعداد وهيكلة وطرح المشاريع وفق قانون الشراكة المعتمد.

كما يعتمد نموذجًا لتخطيط رؤوس الأموال على المدى الطويل يضمن استمرارية تدفق المشاريع الجاهزة للطرح.

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

لبنان يحاول فرض قواعد اشتباك أخلاقية في الفضاء الرقمي

كيف تستطيع مؤسسات الدولة الضعيفة فرض المعايير على جهات سياسية تمتلك إمبراطوريات إعلامية

أصبحت أدوات الترفيه الرقمي والذكاء الاصطناعي في يد الجيوش الإلكترونية وقودا جديدا لصراع قديم، مما يضع الدولة اللبنانية أمام تحدٍ غير مسبوق لضبط فضاء لا يعترف بالحدود الجغرافية أو الخطوط الحمراء التقليدية.

لأجل بناء مستقبل

بيروت - في محاولة لفرض "قواعد اشتباك" أخلاقية على الفضاء الرقمي المتفجر، وضعت الحكومة اللبنانية مبادرات لمكافحة خطاب الكراهية في مقدمة أجندتها الوطنية، معتبرة أن "الأمن السيبراني المجتمعي" لا يقل أهمية عن الأمن الميداني.

تتمحور المبادرة الحكومية، التي تقودها وزارة الإعلام بالتعاون مع منظمات دولية، حول إرساء "ميثاق شرف رقمي" يهدف إلى إلزام المؤسسات الإعلامية والمؤثرين بمعايير دقيقة تمنع الانزلاق نحو التحريض الطائفي. وتتضمن المبادرة إطلاق منصة رصد وطنية تعمل على تتبع المصطلحات التحريضية وتحليل تدفق "الأخبار الزائفة" التي تُستخدم كوقود لخطاب الكراهية، بهدف إصدار تقارير دورية تضع الرأي العام والجهات القضائية أمام مسؤولياتهما.

وقال وزير الإعلام اللبناني بول مرقص إن الوزارة تعمل على أربعة مستويات لمعالجة ظاهرة الإساءة وخطاب الكراهية عبر المنصات الرقمية ، تبدأ بحملات توعية وتثقيف بالتعاون مع منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ بهدف تعزيز الاستخدام الإيجابي لوسائل التواصل الاجتماعي.

بول مرقص

وزارة الإعلام تعمل على أربعة مستويات لمعالجة ظاهرة الإساءة وخطاب الكراهية عبر المنصات الرقمية

واضاف مرقص أن وزارة الإعلام تنفّذ سلسلة تحركات تهدف إلى ترشيد الخطاب على مواقع التواصل الاجتماعي..مشيراً إلى أن دور الوزارة يتركّز على التوعية والتنسيق فيما تبقى الملاحقات القضائية من صلاحية القضاء والضابطة العدلية.

وبحسب مسؤولين حكوميين، فإن المبادرة لا تكتفي بالجانب النظري، بل تشمل إنشاء "وحدة استجابة سريعة" إعلامية مهمتها تفنيد الشائعات في لحظات صدورها، خاصة تلك التي تمس السلم الأهلي أو تستهدف الفئات الضعيفة، وذلك لقطع الطريق على الجيوش الإلكترونية قبل وصول محتواها إلى مرحلة "الانتشار الفايروسي".

وتسعى الحكومة من خلال هذه الخطوات إلى سد الفراغ التشريعي، حيث تعمل بالتوازي مع لجنة الإعلام والاتصالات البرلمانية لتسريع إقرار بنود قانونية تُعنى بـ"الجرائم الإلكترونية الناتجة عن الكراهية". وتهدف هذه التعديلات إلى منح الأجهزة الأمنية والقضائية أدوات واضحة للتفريق بين النقد السياسي المشروع وبين "الاغتيال المعنوي" والتحريض المباشر على العنف، وهي المعضلة التي طالما استغلتها القوى المتصارعة.

ومع ذلك يقرّ القائمون على المبادرة بأن التحدي الأكبر يكمن في "التمويل والاستدامة"؛ إذ يعتمد الشق التنفيذي للمبادرة بشكل كبير على الهبات الدولية والتعاون التقني مع شركات التكنولوجيا الكبرى لتطوير أدوات رصد باللغة العربية واللكنة اللبنانية المحلية، وهو أمر لا يزال قيد التفاوض المعقد.

ورغم شمولية هذه الإجراءات يتساءل معلقون عن قدرة "مؤسسات الدولة الضعيفة" على فرض هذه المعايير على جهات سياسية تمتلك إمبراطوريات إعلامية ومنصات رقمية عابرة للحدود. فالمبادرة الحكومية، في جوهرها، تخوض سباقاً مع الزمن لتثبيت قيم "الدولة" في فضاء افتراضي يميل بطبعه نحو "الفوضى المنظمة".

ويعتقد مراقبون ومحللون في الشأن اللبناني أن الإجابة لا تكمن في المفاضلة بين القانون والوعي، بل في خلق تكامل بنيوي بينهما؛ ففي بيئة شديدة التعقيد مثل لبنان، يظل القانون "أعرج" دون حاضنة شعبية، والوعي "عاجزا" دون قوة تحميه.

وفي هذا السياق يؤكدون أنه لا يمكن لخطاب الكراهية أن يتراجع ما لم يشعر المحرضون بوجود ثمن سياسي وقانوني لأفعالهم. ففي لبنان أدى "الإفلات من العقاب" تاريخيا إلى تحويل التحريض إلى مهنة مربحة للجيوش الإلكترونية. لذا، فإن وجود نصوص قانونية واضحة، تُطبق باستقلالية بعيداً عن الضغوط الحزبية، هو الضمانة الوحيدة لمنع تحول "حرية التعبير" إلى "غابة رقمية" تهدد السلم الأهلي. القانون هنا ليس أداة للقمع، بل هو "مسطرة" تضع حدوداً فاصلة بين النقد البنّاء والتحريض المميت.

على الجانب الآخر، يرى خبراء الاجتماع أن القوانين الزجرية قد تنجح في إسكات الأصوات، لكنها لا تقتلع الكراهية من النفوس. وهنا يأتي دور الوعي المجتمعي الذي يبدأ من التربية الإعلامية في المدارس والجامعات. إن قدرة المواطن على تمييز "الأخبار الزائفة" ورفض الانجرار خلف "الغرائز الطائفية" الرقمية هي التي تُفقد الجيوش الإلكترونية فاعليتها. الوعي هو الذي يحول المستخدم من "أداة تفاعل" سلبية تزيد من انتشار الكراهية، إلى "فلتر" يوقف تدفق السموم الرقمية قبل وصولها إلى بيئته المحيطة.

ولم تكن حادثة السخرية من الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم، مجرد عاصفة عابرة على وسائل التواصل الاجتماعي، بل كشفت عن عمق التصدعات الطائفية التي تغذيها التقنيات الحديثة. ففي مطلع مايو الجاري بثت قناة إل.بي.سي.إي اللبنانية مقطع فيديو صُوّر باستخدام الذكاء الاصطناعي، يظهر فيه قاسم ومقاتلو الحزب بشخصيات كرتونية مستوحاة من لعبة "الطيور الغاضبة"، وهم يهاجمون جنوداً إسرائيليين مُثلوا بهيئة "خنازير".

واعتبر أنصار حزب الله أن تصوير مرجعيتهم السياسية والدينية بهذا الشكل، وبأدوات بدائية كـ"المقلاع"، يمثل إهانة مباشرة وتعمداً لتقزيم قوة "المقاومة".

وسرعان ما انتقل السجال من السخرية السياسية إلى "حرب إهانات" طائفية؛ إذ ردت الحسابات الموالية للحزب بنشر صور مولدة بالذكاء الاصطناعي تستهدف رموزاً مسيحية، وعلى رأسها البطريرك الماروني بشارة الراعي، مما أثار موجة تنديد واسعة وهدد بانفراط عقد السلم الأهلي الهش.

وتؤكد التقارير أن هذه المواجهات الرقمية ليست عفوية بالكامل، بل تقودها جيوش إلكترونية منظمة تتبع أطراف النزاع.

الشامي ولعبة الأرقام.. هل تضمن «المليار مشاهدة» خلودا فنيا لجيل تيك توك

يواجه المشهد الثقافي في الشرق الأوسط تساؤلا جوهريا مع صعود جيل جديد من "نجوم المليار مشاهدة": هل يمكن للخوارزميات الرقمية والنجاحات اللحظية أن تؤسس لإرث فني يصمد لعقود، أم أننا نعيش عصر "النجومية المؤقتة"؟

انقلاب معايير النجومية

دمشق - دخل الفنان السوري الشامي موسوعة غينيس للأرقام القياسية للمرة الثانية كأصغر فنان يتصدر قائمة "بيلبورد عربية هوت 100" بعمر 22 عاما، في تحول يكرّس معايير جديدة للنجومية تعتمد على البيانات الرقمية.

ولم تعد النجومية في الشرق الأوسط والعالم تُقاس فقط بظهور الفنان على شاشات التلفزيون الرسمي أو اعتلاء خشبة المسارح العريقة؛ بل أصبحت تُحسم الآن عبر خوارزميات تيك توك وقوائم تشغيل "سبوتيفاي"، في تحول جذري تقوده البيانات الرقمية وذائقة "جيل زد".

ويرى خبراء الصناعة الموسيقية أن هذا التحول يمثل "انقلابًا" في معايير النجومية التقليدية، حيث حلت الأرقام المليارية وسرعة الانتشار محل التزكية من النقاد أو شركات الإنتاج الكبرى.

يمثل "جيل زد" -المواليد ما بين أواخر التسعينات وبداية العقد الثاني من الألفية- المحرك الأساسي لهذا التغيير. هذا الجيل لا يستهلك الموسيقى بشكل سلبي، بل يعيد إنتاجها عبر مقاطع الفيديو القصيرة، مما يحول الأغنية من مجرد مادة صوتية إلى "ترند" عالمي في غضون ساعات.

يقول محللون إن هؤلاء الشباب يفضلون "الواقعية" والسرعة على الإنتاج الضخم والبريق المصطنع.

واستطاع الفنان الشامي، على سبيل المثال، كسر القواعد التقليدية من خلال تقديم موسيقى تدمج بين الهوية المحلية والأنماط العالمية، وهي الصيغة التي تلاقي صدى واسعًا لدى جيل نشأ في عالم مفتوح بلا حدود رقمية.

وفي العصر الرقمي أصبحت البيانات هي "الناقد الموسيقي" الجديد. فدخول فنانين شباب موسوعة غينيس للأرقام القياسية، أو تصدرهم قوائم "بيلبورد" العربية، ليس مجرد إنجاز شرفي بل هو انعكاس لقوة شرائية وتفاعلية هائلة تجبر العلامات التجارية ومنظمي الحفلات على إعادة حساباتهم.

ومع ذلك يطرح هذا النموذج تساؤلات حول ديمومة هذه النجومية. فبينما تمنح البيانات صعودًا صاروخيًا للنجوم الجدد، فإن وتيرة الاستهلاك السريعة لـ"جيل زد" قد تجعل من الصعب الحفاظ على المكانة ذاتها لسنوات طويلة ما لم يواكب الفنان التطور المستمر في الخوارزميات.

في نهاية المطاف تعيد هذه المرحلة تعريف "الأسطورة" الموسيقية؛ فهي لم تعد ترتبط بالغموض والبعد عن الجمهور، بل بالقدرة على التحول إلى جزء من يومياته الرقمية وتصدر شاشات هواتفه الذكية على مدار الساعة.

«جيل زد» يعيد إنتاج الموسيقى عبر مقاطع الفيديو القصيرة، مما يحول الأغنية من مادة صوتية إلى «ترند» عالمي

ويقول باحثون في السوسيولوجيا الموسيقية إن الأرقام الفلكية التي يحققها فنانون مثل "الشامي" أو نجوم "المهرجانات" تعكس ذائقة لحظية لجيل يستهلك المحتوى بسرعة فائقة. هذا الاستهلاك السريع قد يحول العمل الفني إلى "سلعة" تنتهي صلاحيتها بمجرد ظهور الإيقاع التالي، مما يصعّب مهمة بناء "كلاسيكيات" عابرة للأجيال.

على الجانب الآخر، يجادل المدافعون عن النموذج الجديد بأن البيانات الضخمة ليست مجرد أرقام، بل هي توثيق دقيق لارتباط الجمهور بالفنان. فالدخول إلى موسوعة غينيس، أو تصدر قوائم "بيلبورد"، يمنح الفنان شرعية دولية وتوثيقا تاريخيا لم يكن متاحا في السابق إلا عبر الروايات الشفهية أو الأرشيفات الورقية.

ويشير الخبراء إلى أن "الإرث" في القرن الحادي والعشرين قد يتخذ شكلاً مختلفاً؛ فهو لن يعتمد على ندرة الظهور، بل على "البصمة الرقمية" ومدى قدرة الفنان على التحول إلى أيقونة في الثقافة البصرية لوسائل التواصل الاجتماعي.

التحدي الأكبر الذي يواجه نجوم الأرقام هو "التشبع". ففي ظل تدفق آلاف الأغاني يومياً على المنصات، يصبح الحفاظ على ذاكرة المستمع مهمة شبه مستحيلة. وبينما لا تزال أغاني الخمسينات تُسمع حتى اليوم، يخشى مراقبون أن تختفي أغاني "المليار مشاهدة" الحالية بمجرد تغيير خوارزميات المنصات أو ظهور منصة جديدة تزيح تيك توك ويوتيوب.

ويقول معلقون إن قدرة نجم اليوم على الصمود تعتمد على موازنة ذكائه الرقمي بتقديم محتوى يحمل قيمة فنية تتجاوز مجرد الإيقاع الراقص، ليتحول من "ظاهرة رقمية" إلى "مرجع ثقافي".

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

تكتلات الشرق الأوسط.. أوهام القوة وحدود التأسيس

دروس في البراغماتية و«السيولة الجيوسياسية»

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

يتكرر الحديث عن "تكتلات جديدة" في الشرق الأوسط، ثلاثية ورباعية يجري تشكيلها لمواجهة تحولات المنطقة، ونشط هذا خاصة قبل الحرب بفترة قصيرة وخلالها، بما يوحي بالقدرة على تغيير المشهد. لكنّ الجزء الأكبر من هذا الخطاب يبدو أقرب إلى التوظيف السياسي والإعلامي منه إلى الوقائع الصلبة القابلة للبناء عليها إستراتيجيا.

وما يُقدَّم أحيانا باعتباره "محورا" لا يتجاوز في الغالب تنسيقا ظرفيا أو تقاطعا مؤقتا للمصالح حول ملفات محددة، سرعان ما يتراجع مع تغيّر الحسابات أو تبدّل الأولويات، خاصة أن الدول التي تبنى من حولها التحالفات دول براغماتية تبحث عن مصالحها أولا وقبل كل شيء مثل الصين أو الهند أو روسيا أو تركيا أو جنوب أفريقيا، فضلا عن الدول الأوروبية المحاذية للمتوسط.

الدول المتداخلة في المنطقة مثل الصين وروسيا وبقية أعضاء بريكس تنظر إلى الشرق الأوسط كوحدة مصالح ومنطقة نفوذ ناعم، وليس كدول، وهي ترضى ببناء الشراكات حتى وإن تباين حجم تلك الشراكات، ولا تبعد بلدا لاسترضاء آخر، حتى لو كانت الشراكة معه هامشية.

الحديث عن أحلاف شرق أوسطية فعالة يصطدم أولا بغياب دولة مركزية قادرة على لعب دور القاطرة الإقليمية التي تلتف حولها بقية الدول. فالقوى الكبرى في المنطقة، مثل تركيا وإيران والسعودية ومصر وإسرائيل، تمتلك مصالح متعارضة أحيانا، ومجالات نفوذ متداخلة، كما أن علاقاتها ببعضها محكومة بدرجات متفاوتة من الحذر والشك المتبادل. لأجل ذلك تميل إلى شراكات وليس إلى تحالفات، بمعنى تركز على الجانب الاقتصادي الاستثماري وتعوم البعد السياسي خاصة إذا كان سيضعها في إحراج مع دول أخرى لديها معها مصالح.

الدول الخليجية التي نجحت خلال السنوات الماضية في بناء تنسيق سياسي وأمني مرتفع، لا تزال تتعامل بمرونة شديدة مع فكرة الاصطفافات الحادة، بما في ذلك مع الولايات المتحدة، خصوصا بعد التجارب المكلفة التي عاشتها المنطقة منذ 2011. لذلك يبدو أن أغلب العواصم الإقليمية باتت تميل إلى إدارة التوازنات لا إلى بناء أحلاف مغلقة.

ومن هنا، فإن التلويح بوجود "تكتلات" غالبا ما يكون موجها لإيصال رسائل سياسية مرتبطة بإظهار النفوذ أو تحسين شروط التفاوض أو الإيحاء بامتلاك هامش مناورة أوسع، أكثر من كونه تعبيرا عن بنية تحالفية متماسكة.

تركيا تقدم المثال الأوضح على هذا النوع من "السيولة الجيوسياسية". فخلال السنوات الأخيرة، جرى الحديث عنها باعتبارها جزءا من أكثر من محور إقليمي، بعضها متناقض تماما مع الآخر.

فأنقرة طورت علاقاتها مع دول الخليج بعد سنوات من التوتر، وأعادت فتح صفحة جديدة مع مصر، وتحافظ في الوقت نفسه على حضورها في ليبيا، وتسعى إلى توسيع شراكاتها مع الجزائر والمغرب، كما تحاول تثبيت نفوذ اقتصادي وأمني في أفريقيا والبحر الأحمر.

هذا الانتشار الواسع لا يعني أن تركيا أصبحت رأس حلف شرق أوسطي، بل يعكس على العكس من ذلك طبيعة السياسة التركية القائمة على تعدد الشراكات وتجنب التموضع داخل محاور مغلقة. فأنقرة تدرك أن البيئة الإقليمية الحالية لا تسمح ببناء تحالفات صلبة طويلة الأمد، لذلك تفضل الاستثمار في العلاقات الاقتصادية والتجارية والأمنية الثنائية التي تمنحها مرونة أكبر.

ولهذا، فإن التصريحات التي تتحدث أحيانا عن "محور تركي – سعودي – مصري" أو "حلف تركي – سعودي – باكستاني" تبقى أقرب إلى اللغة السياسية أو الإعلامية منها إلى الواقع العملي، لأن تركيا نفسها تتحرك مع أطراف متنافسة في الوقت ذاته، وتحاول الحفاظ على خطوط مفتوحة مع الجميع.

يشار إلى أن أنقرة سرعان ما تخلصت مما يربطها بالإسلام السياسي، الذي راهنت على وصوله إلى السلطة في دول مثل مصر وتونس، وحين تمت الإطاحة به، غير الأتراك الاتجاه لبناء تحالفات سريعة مع الدول التي يصنفها الإسلاميون كخصم لهم.

أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل فكرة التكتلات الإقليمية مبالغا فيها هو أن الشرق الأوسط نفسه تغيّر. فالمنطقة لم تعد تُدار وفق منطق الحرب الباردة أو الانقسامات الأيديولوجية الحادة التي كانت تنتج محاور واضحة المعالم.

> **الدول الخليجية التي نجحت خلال السنوات الماضية في بناء تنسيق سياسي وأمني مرتفع لا تزال تتعامل بمرونة شديدة مع فكرة الاصطفافات الحادة**

وكان أوضح مثال على هذا التغيير ما شهده الموقف الخليجي، وخاصة من جانب السعودية والإمارات من توجه نحو تنويع الشراكات الاقتصادية والعسكرية وعدم الاكتفاء بالشراكة مع الولايات المتحدة كخيار وحيد. لم يكن الهدف من التنويع الانتقال من حلف إلى آخر، ولكن منح الدول حرية المناورة وتدوير المواقف والالتزامات بشكل يجعلها في موقف قوة ويوفر أرضية صلبة لحرية الاختيار.

ومن المهم الإشارة إلى أن أوزان الدول قد تغيرت، فالدول المؤثرة إقليميا لم تعد تقاس بالمعايير التقليدية مثل المساحة أو عدد السكان أو قياسا على أدوار تاريخية. تغير الوضع وصارت مقاييس النفوذ والوزن تحتكم إلى عناصر أخرى مغايرة أهمها النفوذ المالي والاستثماري الذي يصنع عوامل التأثير بما في ذلك التأثير على الدول الكبرى وعلى الشركات العابرة للقارات، وبالنتيجة فقد صارت دول صغيرة جغرافيا أكثر تأثيرا ونفوذا من دول أكبر حجما وعددا. وبدل البحث عن دول محورية تقليدية للالتفاف حولها في حلف إقليمي صارت الدول الصاعدة اقتصاديا تبحث عن تحالفات عابرة للإقليم ومتعددة الأوجه وفرص التأثير.

ومن ضمن التغييرات الجذرية على هذا المستوى أن التكتلات الإقليمية التقليدية مثل الجامعة العربية ومختلف أدواتها صارت عنصرا هامشيا لا يقدر على منافسة التطورات وخاصة على الاستجابة لرغبة الدول الصاعدة، فضلا عن أن الجامعة العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي أو اتحاد المغرب العربي ظلت هياكل استشارية لا تأثير لها على الأرض، ما يجعل من السهولة بمكان القفز عليها والبحث عن آليات أخرى ليس من الضروري أن يكون الانضواء تحت مظلتها مرتبطا بالبعد الجغرافي مثل عضوية بريكس.

اليوم، تتحرك الدول وفق حسابات اقتصادية وأمنية أكثر تعقيدا. وقد تجد دولتين متنافستين تتعاونان في ملف الطاقة، وتختلفان في ملف أمني، وتنسقان في ملف ثالث يتعلق بالاستثمار أو التجارة أو الهجرة.

كما أن الحروب والأزمات التي شهدتها المنطقة خلال العقد الماضي أظهرت محدودية التحالفات التقليدية. فالكثير من الشراكات التي بدت قوية في لحظة معينة تفككت سريعا تحت ضغط تضارب المصالح أو اختلاف الرؤى حول إدارة الصراعات.

لذلك، يبدو أن النموذج الأكثر حضورا حاليا ليس "الحلف" بل "الشبكات المرنة" من العلاقات، حيث تحاول كل دولة توسيع هامشها الإستراتيجي من دون الانخراط الكامل في اصطفافات دائمة.

لا يعني ذلك أن التنسيق الإقليمي غير موجود، أو أن الدول لا تبحث عن صيغ تعاون جديدة، لكن الفرق كبير بين التعاون المرحلي وبين بناء تحالفات إستراتيجية متماسكة.

فالحديث المتكرر عن تكتلات ثلاثية ورباعية يخدم أحيانا أغراضا دعائية مرتبطة بإظهار القوة أو التأثير، خصوصا في لحظات التصعيد الإقليمي. غير أن الميدان يكشف غالبا أن هذه "الأحلاف" تفتقر إلى المؤسسات المشتركة، والرؤية الموحدة، وحتى إلى تعريف واضح للتهديدات والمصالح.

وفي منطقة تتغير فيها التوازنات بسرعة، تبدو البراغماتية السياسية أكثر حضورا من الالتزام التحالفي طويل المدى، وهو ما يفسر لماذا تفضّل أغلب القوى الإقليمية إبقاء أبوابها مفتوحة أمام الجميع، بدلا من الانخراط في محاور قد تتحول لاحقا إلى عبء إستراتيجي.

وبالنتيجة، يعيش الشرق الأوسط اليوم مرحلة "تعدد الشراكات" لا مرحلة "الأحلاف الكبرى". وما يُطرح أحيانا باعتباره تكتلات إقليمية صاعدة لا يتجاوز في كثير من الأحيان ترتيبات مرنة ومؤقتة تحكمها الحاجة إلى المناورة السياسية أكثر من الرغبة في بناء اصطفافات ثابتة.

مختبر الركام: هندسة موازين القوى في الشرق الأوسط؟

ألطاف موتي
كاتب باكستاني

لقد شهد ميدان المعركة الحديث تحولا جذريا، فلم يعد مجرد مسرح للغزو الإقليمي أو النفوذ السياسي، بل استحال في الشرق الأوسط إلى "مختبر أبحاث" عالي المخاطر والأهمية. لعقود من الزمن، حافظت الولايات المتحدة وإسرائيل على فجوة تقنية هائلة، حيث كانت طائراتهما المسيرة وصواريخهما وأنظمة حربهما الإلكترونية تُمثل المعيار الذهبي للقتال الحديث. ومع ذلك، يبرز اليوم واقع جديد؛ إذ تزعم وسائل الإعلام والمسؤولون العسكريون الإيرانيون صراحةً أن كل سلاح غربي يُفقد في الميدان يتحول إلى مخطط أولي لصناعاتهم الدفاعية. إن إستراتيجية "الهندسة العكسية" هذه لا تقتصر على محاكاة الأجهزة فحسب، بل تتعلق بتفكيك أسطورة التفوق التقني الغربي المطلق.

بدأت قصة نجاح إيران في الهندسة العكسية بشكل جدي في عام 2011، عندما مثل الاستيلاء على طائرة الاستطلاع الأميركية المسيرة "RQ–170 Sentinel" نقطة تحول مفصلية. آنذاك، استبعد المحللون الغربيون قدرة طهران على فك شفرات آلة معقدة كهذه، لكن الواقع أثبت خطأهم؛ ففي غضون سنوات، أنتجت إيران طائرتي "شاهد – 171" و"صاعقة"، ولم تكن هذه النماذج مجرد نسخ بصرية، بل منصات وظيفية استفادت من بيانات الديناميكا الهوائية ومنطق التحكم في الطيران المستخلص من الطائرة المصادرة.

> **الهندسة العكسية حوّلت الميدان إلى مختبر مفتوح حيث تتحول الأسلحة الغربية المصادرة إلى منصات جديدة تكسر احتكار التكنولوجيا وتعيد رسم ميزان القوة**

وبحلول عام 2026، تحولت هذه العملية إلى نشاط صناعي ممنهج. فالميادين في أوكرانيا واليمن وبلاد الشام باتت تعمل كحزام ناقل للتكنولوجيا، فحين يفشل صاروخ عالي التقنية في الانفجار أو تسقط مسيرة عبر التشويش الإلكتروني، نادرا ما يبقى الحطام في مكانه، بل يُنقل إلى مرافق متخصصة حيث يجري المهندسون "هندسة جنائية" لتحليل أجهزة الاستشعار وهياكل الكربون وأنظمة التوجيه. الهدف هو العثور على "الحمض النووي" للسلاح، وبمجرد فهمه، يتم تطويعه لخدمة الاحتياجات الإستراتيجية الإيرانية.

يتمثل الأثر الأبرز لهذا التوجه في البعد الاقتصادي، فالعقيدة العسكرية التقليدية تعتمد على تكنولوجيا متفوقة وباهظة الثمن لسحق العدو، حيث قد تتجاوز تكلفة صاروخ اعتراض أميركي أو إسرائيلي واحد مليوني دولار. وفي المقابل، غالباً ما تُكلف المسيرات "المستنسخة" التي تنتجها إيران أقل من 30 ألف دولار.

يخلق هذا "اختلالا في التكلفة" يصب في مصلحة القوى الإقليمية أو الفصائل المسلحة، فإذا اضطر الخصم إلى إنفاق الملايين لإسقاط أسراب من المسيرات منخفضة التكلفة، تصبح الحرب غير مستدامة للقوة الأغنى. هذا هو جوهر "الحرب غير المتماثلة"، فمن خلال الهندسة العكسية، تجاوزت إيران عقوداً من تكاليف البحث والتطوير، وهي في الأساس تستخدم ميزانيات الأبحاث الغربية ضد الغرب نفسه.

كثيراً ما يصف المسؤولون العسكريون الإيرانيون النزاعات الحالية بأنها "مختبر أبحاث"، وهذا يمثل تحولاً عميقاً في الرؤية؛ فالمهمة الفاشلة لم تعد خسارة مطلقة، بل إذا تم اعتراض نظام سلاح ما، تُستخدم البيانات التي جُمعت من هذا الاعتراض لتطوير النسخة التالية.

تتميز هذه العملية التكرارية بالسرعة الفائقة؛ ففي أنظمة المشتريات الدفاعية الغربية التقليدية، قد يستغرق تحديث البرمجيات أو الأجهزة سنوات بسبب البيروقراطية، أما في "مصانع الظل" بالشرق الأوسط، فتحدث هذه التغييرات في غضون أشهر. يراقب المهندسون كيفية تفاعل منظومات "القبة الحديدية" أو "باتريوت" مع ترددات معينة، ثم يعدلون صواريخهم لاستغلال تلك الثغرات، حيث يوفر الميدان "اختبارا واقعيا" نهائيا لهذه الابتكارات.

إن تداعيات هذا "التسرب" التكنولوجي لا تقتصر على الشرق الأوسط، بل نشهد صعود محور دفاعي عالمي جديد، حيث تُشارك التكنولوجيا المصادرة في المنطقة مع شركاء مثل روسيا والصين، وفي المقابل، تحصل إيران على مكونات متطورة لا تستطيع تصنيعها محلياً بعد.

لقد خلقت هذه الشبكة سوقاً ثانوية للتكنولوجيا العسكرية تلتف على العقوبات الغربية وقيود التصدير، فحين يُصادر سلاح غربي، لم تعد أسراره ملكاً لدولة واحدة، بل تصبح جزءاً من قاعدة بيانات مشتركة بين الدول الساعية لتحدي النظام العالمي الحالي. إن "دقرطة" الأسلحة عالية التقنية تعني أن القدرات المتقدمة، التي كانت حكراً على القوى العظمى، باتت الآن في متناول مجموعة واسعة من الفاعلين.

> **اختلال التكلفة بين صواريخ بملايين الدولارات ومسيرات مستنسخة بعشرات الآلاف يخلق حربا غير متماثلة تجعل التفوق الغربي عبئا إستراتيجيا أكثر منه ميزة**

يفرض هذا الوضع تحدياً هائلاً على مقاولي الدفاع الغربيين: كيف تنشر أفضل تقنياتك إذا كان فقدان وحدة واحدة قد يعرض أسطولك بالكامل للخطر؟ أدى هذا الخوف إلى تطوير "مفاتيح القتل" وآليات التدمير الذاتي في الإلكترونيات الحديثة، ومع ذلك، أثبت المهندسون الإيرانيون براعة في تجاوز هذه الضمانات.

يجد الغرب نفسه الآن أمام خيار صعب: فإما الاستمرار في نشر الأنظمة المتطورة والمخاطرة باستنساخها، أو حجب التكنولوجيا الأكثر تقدماً، مما يترك قواته في الميدان في موقف ضعف. هذا هو المأزق الإستراتيجي، فالتطور ذاته الذي يجعل الأسلحة الغربية فعالة هو ما يجعلها "الغنائم" الأكثر قيمة لفرق الهندسة العكسية.

إن القول بأن "ميدان المعركة هو مختبر أبحاث" يتجاوز كونه مجرد بروباغندا، إنه إعلان عن نهاية الاحتكار التكنولوجي الغربي. لقد ولى العصر الذي كانت فيه دول معدودة تملك مفاتيح العلوم العسكرية المتقدمة، فمن خلال مزيج من الصبر، والهندسة الجنائية، والانتهازية الإستراتيجية، نشأت صناعات دفاعية جديدة تزدهر على "بقايا" خصومها.

وبالنظر إلى مستقبل الصراعات في عام 2026 وما بعده، سينصب التركيز على سرعة التكيف بدلاً من مجرد امتلاك السلاح الأفضل. فالمنتصر الحقيقي في العصر الحديث هو من يستطيع أخذ قطعة من التكنولوجيا المصادرة وتحويلها إلى أداة للتحدي قبل أن تبدأ المعركة التالية. المختبر مفتوح، والنتائج بدأت تغير وجه العالم.

مزيج من الصبر والهندسة الجنائية والانتهازية الإستراتيجية

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

هل اغتيل بلوط على طريق الحرير؟

د.جيرار ديب
كاتب ومحلل سياسي لبناني

كشف وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، الأربعاء 6 أيار/مايو الجاري، في تصريح له من بكين بعد لقائه نظيره الصيني، وانغ يي، أن "الأصدقاء الصينيين يعتقدون أن إيران بعد الحرب تختلف عما كانت عليه قبلها".

مضيق هرمز شريان الطاقة الصيني وتحوله إلى عنق زجاجة إستراتيجي يضع بكين أمام تحديات كبرى ويجعل إيران شريكا محوريا في مواجهة واشنطن

جولة عراقجي إلى بكين حملت الكثير من القضايا المحورية والجوهرية المرتبطة بتمتين العلاقة بين الطرفين، وعلى رأسها كيفية إنهاء الحرب، وقضايا البرنامج النووي والعقوبات، وطبعًا مضيق هرمز الذي يشكل الهمّ الأول للصين. إذ يُعد المضيق شريانًا حيويًا لأمن الطاقة الصيني، حيث يمر عبره نحو 30 في المئة إلى 50 في المئة من واردات الصين النفطية والغازية، مما يجعله "عنق زجاجة إستراتيجيا".

لا جدال في أن الحكومة الصينية تعمل على إيجاد مشاريع طاقة بديلة عن النفط، بعدما عمدت واشنطن إلى تضييق الخناق عليها في كل من فنزويلا وإيران. لكن بكين تدرك أن مواجهة واشنطن يجب أن تستند إلى خيارات بديلة وصلبة، على رأسها تركيب توربينات الرياح الحديثة، وهي خطوة تُعتبر إستراتيجية لتقليل الاعتماد على النفط والوقود الأحفوري. ووفقًا لشبكة التلفزيون الصينية CCTV، فقد تم الانتهاء يوم الاثنين 5 أيار/مايو من تركيب توربين رياح عائم بقدرة 16 ميغاواط في مقاطعة هوانغدونغ، على بعد أكثر من 70 كيلومترًا من ساحل يانغ جيانغ. ويُعد المشروع المسمى "الوديان الثلاثة" واحدًا من أكثر المشاريع تعقيدًا من الناحية التكنولوجية في مجال طاقة الرياح البحرية، وأحد أكبر توربينات الرياح العائمة في العالم.

خيارات بكين في عالم الطاقة لن تُغنيها عن تمتين علاقاتها مع دول تتقاطع معها في عدائها للولايات المتحدة للحد من نفوذها العالمي، وإيران نموذج بارز لذلك. إذ لم يكد عراقجي ينهي تقديم بلاده كقوة إقليمية للرئيس الصيني شي جينبينغ، حتى أتت عملية استهداف قائد قوة الرضوان في حزب الله، أحمد بلوط، بعد ساعات قليلة، في الضاحية الجنوبية لبيروت، خارقة بذلك اتفاق وقف إطلاق النار المؤقت بين حزب الله وإسرائيل.

يضع بعض المتابعين توقيت العملية في سياق اليوم الأول لتسلّم القائد الجديد لسلاح الجو الإسرائيلي، عومر تيشلر، مهامه، مما قد يعكس محاولة إسرائيلية لتقديم "إنجاز عملياتي" سريع يرد على الانتقادات الداخلية لحكومة بنيامين نتنياهو بشأن تقييد حرية عمل الجيش في لبنان. إلا أن هذه العملية تحمل دلالات تتجاوز نطاق الاستهداف خارج حدود نهر الليطاني، كونها جرت بضوء أخضر من واشنطن، وفق ما نقلت هيئة البث الإسرائيلية عن مسؤول إسرائيلي كبير.

على طريق الحرير، أو ما بات يُعرف بـ"الحزام والطريق"، أتى استهداف بلوط قبل أيام من اللقاء المنتظر في بكين الذي سيجمع الزعيم الصيني بالرئيس الأميركي دونالد ترامب. قمة يتحضر لها الطرفان عبر تجميع أوراق القوة لديهما لطرحها على طاولة المفاوضات. ففي الوقت الذي ترى بكين أن "توربين الرياح" سيعزز موقفها أمام الجانب الأميركي، تحمل واشنطن ورقة "الضوء الأخضر" الذي أعطته إلى تل أبيب لتنفيذ عملية اغتيال بلوط، كدلالة واضحة على قدرة واشنطن على التحكم بمسار الشرق الأوسط، تحديدًا عبر إشعال منطقة ترتكز عليها طريق الحرير الصينية، وهي نقطة محورية للوصول إلى العمق الأوروبي.

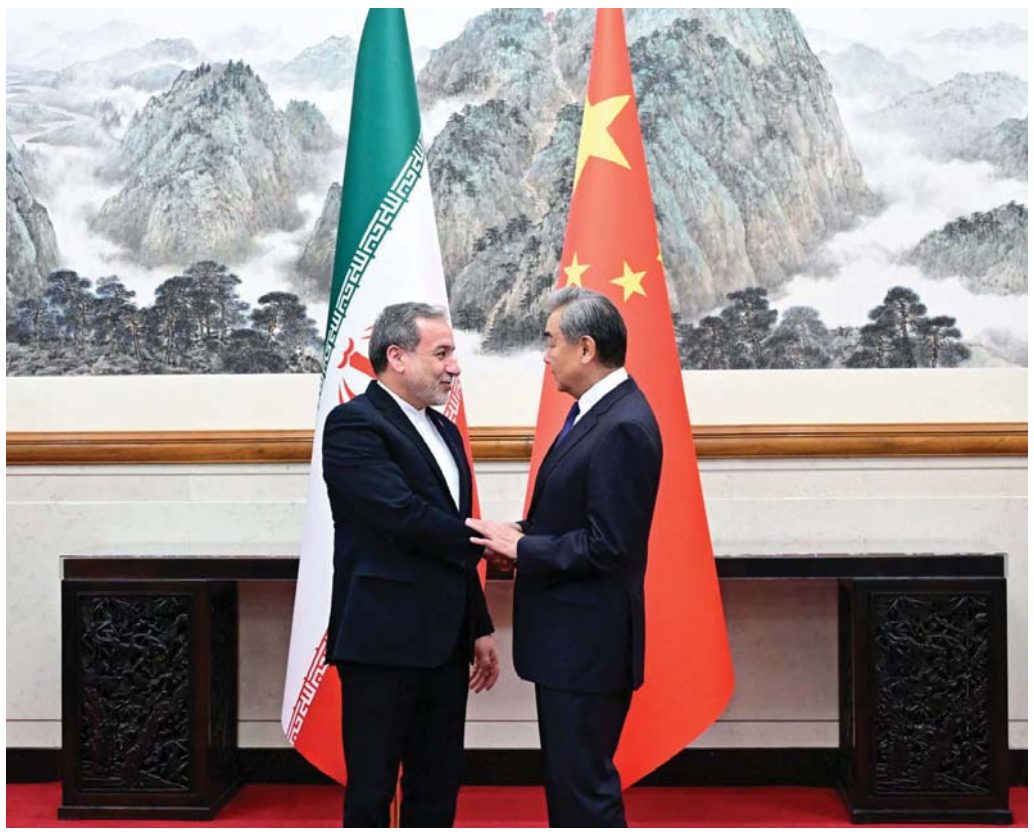

خيارات بكين لن تبعدها عن إيران

الصراع الصيني – الأميركي إلى الآن لم يأخذ شكل الصدام العسكري، لكنه يتجلى بأشكال مختلفة، وعلى رأسها تلك الرسائل التي عمدت بكين إلى إيصالها في حرب الأربعين يومًا بين أميركا وإيران عبر تقديم الدعم اللوجستي والاستخباراتي. وما قاله عراقجي يمكن وضعه في هذا الإطار. فعدم قدرة واشنطن على تحقيق أهداف الحرب دفع طهران إلى تقديم نفسها لحلفائها، موسكو وبكين، باعتبارها قوة إقليمية يمكن الاستناد إليها. وإن قوتها لا ترتكز فقط على صمود شعبها وصواريخها الباليستية، بل أيضًا عبر وكلاء لها في المنطقة، وعلى رأسهم حزب الله في لبنان.

لم يعد مستغربًا أن يربط الحزب مصير الهدنة في لبنان بما يجري في مفاوضات إسلام آباد. فالحزب هو الورقة الأقوى لإيران، وبحسب اعتراف قياداته، فإن صمود إيران كان في جزء منه نتيجة فتح الحزب جبهة إسناد لها. أمام هذا الترابط في المصير، تأتي عملية قتل بلوط في خانة تبادل رسائل أميركية على طريق الحرير الصينية. صحيح أن عملية الاغتيال لن تدفع إلى تغيير قواعد الاشتباك القائمة في لبنان بانتظار لقاء القمة، لكنها رسالة قوية إلى كل من إيران والصين بأن مفتاح الحل كما مفتاح الحرب في الشرق الأوسط هو في واشنطن. فهل تلقّت بكين الرسالة؟

اليابان تحسمها: الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية هو الحل

سعيد التمسماني
محلل سياسي مغربي

لم يعد الدعم الدولي لمبادرة الحكم الذاتي المغربية مجرد تعبير دبلوماسي تقليدي أو مجاملة سياسية ظرفية، بل أصبح يتخذ تدريجيا طابعا إستراتيجيا يعكس تحولات عميقة في إدراك القوى الكبرى لطبيعة النزاع الإقليمي حول الصحراء المغربية. وفي هذا السياق، يكتسي الموقف الياباني الأخير أهمية خاصة، ليس فقط بحكم الوزن السياسي والاقتصادي لطوكيو داخل المنظومة الدولية، وإنما أيضا لكونه يؤشر على انتقال نوعي في مقاربة إحدى أكثر الدول الآسيوية تأثيرا تجاه هذا الملف.

فالبيان المشترك الموقع بين وزير الشؤون الخارجية المغربي ناصر بوريطة ونظيره الياباني موتيغي توشيميتسو، بمناسبة الذكرى السبعين للعلاقات الدبلوماسية بين المغرب واليابان، لم يكتفِ بالإشادة بقرار مجلس الأمن 2797، بل ذهب أبعد من ذلك حين اعتبر أن "حكما ذاتيا حقيقيا تحت السيادة المغربية" يمثل أحد الحلول الأكثر قابلية للتطبيق. وهي صيغة تحمل في عمقها دلالات سياسية وقانونية بالغة الوضوح، لأنها تربط بشكل مباشر بين الحل السياسي الممكن وبين السيادة المغربية، في انسجام متزايد مع الدينامية الدولية المتصاعدة الداعمة للمقترح المغربي.

الأهم في الموقف الياباني ليس فقط الاعتراف بواقعية الحكم الذاتي، بل الانتقال من منطق "المتابعة الحذرة" إلى منطق "الانخراط العملي". فإعلان طوكيو استعدادها للعمل دبلوماسيا واقتصاديا على أساس هذا التوجه يعكس إدراكا متناميا بأن النزاع لم يعد يحتمل استمرار الجمود، وأن المقاربة المغربية أصبحت تمثل الإطار الأكثر جدية واستقرارا لإنهاء أحد أطول النزاعات الإقليمية في أفريقيا.

هذا التحول يكتسب وزنا إضافيا بالنظر إلى الطبيعة التقليدية للدبلوماسية اليابانية، المعروفة بتحفظها الشديد وابتعادها عن الاصطفافات الحادة في الملفات الجيوسياسية الحساسة. لذلك، فإن تبني طوكيو خطابا واضحا حول مركزية الحكم الذاتي لا يمكن فصله عن التحولات التي عرفها الملف خلال السنوات الأخيرة، سواء على مستوى التراكم الدبلوماسي المغربي، أو على مستوى تراجع الأطروحات الانفصالية داخل العديد من العواصم المؤثرة. كما أن الإشارة اليابانية إلى ضرورة استئناف المفاوضات "دون شروط مسبقة" وعلى أساس المبادرة المغربية، تكشف عن تحول مهم في فهم المجتمع الدولي لطبيعة العملية السياسية الأممية. فبعد سنوات من المقاربات الرمادية، أصبح واضحا أن عددا متزايدا من القوى الدولية بات يعتبر أن أي تسوية واقعية لا يمكن أن تتم خارج سقف الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية، باعتباره الصيغة الوحيدة القادرة على التوفيق بين الاستقرار الإقليمي، واحترام الخصوصيات المحلية، والحفاظ على وحدة الدول وسيادتها.

الموقف الياباني الأخير يعكس انتقالا نوعيا، حيث اعتبرت طوكيو الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية الحل الأكثر واقعية، مؤكدة دعمها السياسي والاقتصادي للمغرب

وفي العمق، فإن الموقف الياباني لا يعبر فقط عن دعم سياسي للمغرب، بل عن إعادة تموقع داخل التوازنات الدولية الجديدة. فاليابان، التي تسعى إلى تعزيز حضورها في أفريقيا وفي الفضاء الأطلسي الأفريقي، تدرك أن المغرب تحول إلى فاعل إستراتيجي محوري، سواء من خلال استقراره السياسي، أو موقعه الجيو – اقتصادي، أو دوره المتصاعد كبوابة بين أوروبا وأفريقيا والعالم الأطلسي.

من هنا، تبدو الإشارة إلى التعاون الاقتصادي ذات دلالة خاصة، لأنها تعني أن دعم الحكم الذاتي لم يعد يقتصر على البيانات السياسية، بل بدأ يتحول إلى رؤية متكاملة تربط الشرعية السياسية بالرهانات التنموية والاستثمارية. وهو ما يعزز الطرح المغربي القائم على أن التنمية والاستقرار والسيادة تشكل معادلة واحدة غير قابلة للتجزئة.

إن ما حدث مع اليابان يتجاوز مجرد موقف ثنائي عابر، إنه تعبير جديد عن التحول التدريجي في بنية الشرعية الدولية حول قضية الصحراء المغربية. فكل قوة دولية تنضم إلى معسكر الواقعية السياسية تُضيّق أكثر هامش الأطروحات المتجاوزة، وتؤكد أن المستقبل لم يعد لصالح مشاريع الانفصال، بل لصالح حلول السيادة والاستقرار والاندماج الإقليمي.

وهكذا، تبدو طوكيو اليوم وكأنها لا تكتفي بقراءة التحولات الدولية، بل تساهم في صناعتها، عبر تموقع ينسجم مع منطق عالم يبحث عن الاستقرار الواقعي لا عن الأوهام الجيوسياسية المؤجلة.

فلسطين بين ركام الحرب الإيرانية - الأميركية

فتحي أحمد
كاتب فلسطيني

القضية الفلسطينية الغائبة في ظل الحرب الدائرة اليوم بين أميركا وإيران، فرغم ما جرى في غزة وما زال يحدث، ورغم هجمة المستوطنين في الضفة الغربية وتهويد القدس، إلا أن الأحداث هناك لم تكن على جدول أعمال المفاوضين. حتى لبنان، كانت قضيته مطروحة على الطاولة بشكل خجول، وهذا هو المشهد.

للتذكير، منظمة التحرير كانت داعماً رئيسياً للثورة الإيرانية ضد نظام الشاه، الذي كان حليفاً مهماً للولايات المتحدة الأميركية في المنطقة من جهة، وصديقاً لإسرائيل من جهة أخرى. لكن بعد الثورة، انقلبت العلاقة بين الطرفين لأسباب أيديولوجية وجيوسياسية، وطورت إيران علاقاتها مع الفصائل والتنظيمات الفلسطينية الإسلامية وصولاً إلى العلاقة الإستراتيجية مع حركتي حماس والجهاد الإسلامي. غير أن هذه العلاقة تبقى محكومة بالبعدين الأيديولوجي والمصالح الإستراتيجية الإيرانية، إذ نخلص في هذا المقال إلى أن إيران تولي مصالحها القومية الأولوية على حساب الأيديولوجيا الناظمة لفعلها السياسي تجاه القضية الفلسطينية. الحقيقة الواضحة أن إيران، من أجل استكمال لعبتها، دعمت "حماس" و"الجهاد الإسلامي"، ودفعتهما إلى معارضة السلطة الفلسطينية، حيث انقسم الصف الفلسطيني وعمّق الانقسام الفجوة بين قطاع غزة والضفة الغربية، وما زال الحال كما هو.

الموقف الأميركي ثابت: لا دولة فلسطينية كاملة السيادة بل حكم ذاتي منقوص فيما صفقة القرن كرّست القدس عاصمة لإسرائيل وشرعنت ضم المستوطنات

التاريخ يشهد بأنه أثناء الحصار الإسرائيلي لبيروت عام 1982، رفضت إيران الخمينية مساندة منظمة التحرير، في حين دعمت لاحقاً حركة "أمل" في حربها ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان، كما غذّت أول انقسام داخل حركة "فتح" بقيادة أبو موسى، الذي مهد لانقسام أكبر بين الفلسطينيين. إضافة إلى ذلك، ظلت إيران تلاحق الرئيس عرفات، وأعلنت حربها على اتفاق أوسلو، وبذلت جهوداً كبيرة للانقلاب عليه وتدميره.

الحرب الإيرانية - الأميركية همّشت القضية الفلسطينية، إذ تحولت غزة والضفة إلى ملفات ثانوية فيما بقي الدعم الإيراني محكوما بمصالح قومية لا بتحرير فلسطين

منطق الواقع يقول إن القضية الفلسطينية في نظر أميركا تمثلت في تصريحات قادتها، ومنهم هنري كيسنجر الذي قال "إننا ندرك تمام الإدراك أنه لن يكون هناك سلام دائم إلا إذا اشتمل على ترتيبات تأخذ في الاعتبار المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني". أما اتفاق كامب ديفيد سنة 1978، الذي تم برعاية إدارة الرئيس جيمي كارتر، فلم يتعامل مع الفلسطينيين كلاجئين أو كشعب له حقوق سياسية كاملة ومتساوية، بل دعا إلى منح الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة "حكما ذاتيا كاملا". ريغان بدوره قال إن السلام لا يمكن أن يتحقق من خلال إقامة دولة فلسطينية مستقلة في تلك الأراضي، ولا يمكن تحقيقه أيضاً في إطار السيادة أو السيطرة الإسرائيلية الدائمة على الضفة الغربية وقطاع غزة. لذلك، فإن الولايات المتحدة لن تدعم إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولن تدعم كذلك ضمهما أو السيطرة الدائمة عليهما من قبل إسرائيل. أما بوش الأب فقال إنه لا بد أن يُبنى السلام الشامل على قراري مجلس الأمن رقم 242 ورقم 338، وعلى مبدأ مقايضة الأرض بالسلام، بحيث يتيح لإسرائيل الأمن والاعتراف بها، وللفلسطينيين الحقوق السياسية المشروعة في الوقت نفسه.

إذن، الموقف الأميركي متفق على رفض قيام دولة فلسطينية كاملة السيادة، بل دولة منقوصة بلا حدود واضحة، متقطعة. أما صفقة القرن الترامبية فتؤكد في صفحاتها الأولى على وجوب الاعتراف بالقدس دولياً كعاصمة واحدة لإسرائيل، وعلى الفلسطينيين اختيار أي اسم آخر لعاصمتهم وفق هذه الصفقة. ومن أكثر بنود هذه الخطة إثارة للجدل السماح لإسرائيل بضم المستوطنات التي شيدتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

يبقى السؤال الأهم: في حال انتهت الحرب بين أميركا وإيران، ما هو مصير القضية الفلسطينية؟ كل دولة تبحث عن مصالحها، ولا مصلحة لإيران في فلسطين إلا دعم أذرعها هناك من أجل الضغط على إسرائيل والمضي في طموحاتها، وذلك في حال خرجت من الحرب منتصرة. فتحرير فلسطين ليس في برنامجها على الإطلاق. أما الولايات المتحدة، وفي ظل حكم ترامب، فستشهد القضية الفلسطينية أسوأ مراحلها، مزيدا من الضم والتهويد.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

سرديّة الأمل في «لقد أحضرتُ لكِ يدا مقطوعة» لغياث المدهون

تحولات الضحية إلى نص وشهادة الذاكرة الفلسطينية - السورية في الشتات الأوروبي

نستعرض في هذا المقال تجربة الشاعر غياث المدهون في مجموعته "لقد أحضرتُ لك يدًا مقطوعة"، حيث يتقاطع جرح المَنفى الفلسطيني - السوري مع وعي تاريخي حاد. يقدم المدهون نصوصا سردية مكثفة تحول الأرقام واليوميات الأوروبية إلى مادة شعرية غاضبة، تعرّي زيف الأمل الاستهلاكي، وتوثق ذاكرة الضحايا بوصفها شهادة حية على عالم مضطرب.

عماد الدين موسى
كاتب سوري

ينتمي غياث المدهون إلى جيل شعري تشكّلت ملامحه عند تقاطع المَنفى مع التاريخ الشخصي، إذ وُلد في دمشق عام 1979 لأسرة فلسطينية حملت ذاكرتها معها عبر التحوّلات السياسية الكبرى في المنطقة. انتقل إلى السويد عام 2008، واستقرّ بين ستوكهولم وبرلين، حيث تبلورت تجربته في سياق أوروبي متعدد الثقافات، ونسج حضورا أدبيا عابرا للغات. تُرجمت قصائده إلى أكثر من عشرين لغة، وصدرت له مختارات مترجمة في كتب مستقلة، ما أتاح لصوته الشعري أن يدخل في حوار مع فضاءات ثقافية متنوّعة.

تأتي مجموعته الشعريّة "لقد أحضرتُ لك يدا مقطوعة" الصادرة عن منشورات المتوسط في ميلانو (2024) ضمن سياق شعري يتجاوز القالب المتعارف عليه للقصيدة، إذ تتحوّل النصوص إلى وحدات سرديّة متدفّقة، مشبعة بوعي تاريخي حادّ، ومسنودة إلى لغة تقريرية في ظاهرها، غير أنّها تحمل شحنة شعرية كثيفة في بنيتها العميقة.

منذ العتبة الأولى يضع الشاعر قارئه أمام بيان أخلاقي مكثّف: فكرة التحرّر بوصفها أفقا تاريخيا محتوما لكل أرض واقعة تحت احتلال. تعمل هذه العبارة مفتاحا تأويليا لبقيّة القصائد، وتؤسّس مزاجا عاما يتأرجح بين يقين سياسي وغضب إنساني. تتحرّك المجموعة في مجملها ضمن حقل دلالي يتقاطع فيه الفلسطيني مع السوري، والمنفي مع الأوروبي، والضحية مع شاهد العصر، ضمن بناء لغوي مباشر، يكاد يلامس التقرير الصحفي أحيانا، غير أنّه يحتفظ بنبض القصيدة عبر إيقاع داخلي قائم على التكرار والتوازي والمفارقة.

يصعب إدراج المجموعة ضمن تصنيف تقليدي؛ فالقصائد أقرب إلى بيانات شعرية مطوّلة، ذات نَفَس سرديّ واضح وجمل ممتدّة وتراكيب تتكئ على السرد التراكمي. الشاعر يكتب كما لو أنّه يدوّن وقائع شخصية وجمعية في آن، إذ تتجاور الجملة الخبرية مع الجملة الانفعالية، ويتحوّل الرقم والتاريخ إلى عنصر جمالي، من خلال توظيفه في سياق ساخر أو مأساوي، ما يمنح القصائد طابعا هجائيا تجاه بنى سياسية وثقافية في أوروبا المعاصرة.

أكتب تجربتي الذاتية المنفتحة على الآخر

الأمل بوصفه سلعة

يتناول الشاعر تصنيفات عرقية ترسّخت في المخيال الغربي، ويعرّي نظرة "الرجل الأبيض" إلى المهاجر، كأنّها نظرة تصدر عن مركزية متعالية. ومع ذلك يحتفظ النص بوعي ذاتي، إذ يضع الشاعر نفسه ضمن هذه المعادلة، بوصفه مقيما بين ستوكهولم وبرلين، عالقا بين جغرافيتين، بين لغة أمّ ولغة مكتسبة.

في قصيدة بعنوان "كيف أصبحَ الأمل أخضر"، يكشف الشاعر آلية تحويل الأمل إلى معادلة رقمية، حيث يقول "في ستوكهولم تستطيع شراء ورقة لوتو بـ46 كرون سويدي، وفي يوم السبت، مثل كل سبت، تخسر الورقة، فتقوم بشراء ورقة جديدة، وهكذا، بـ46 كرون سويدي تشتري أملا لمدّة أسبوع، وبما أن السنة تحوي 52 أسبوعا، فباستطاعتكَ أن تشتري أملا لسنة كاملة بـ2392 كرون، وهو ما يعادل 273 دولارا حسب سعر الصرف بتاريخ كتابة هذا النصّ. يا إلهي ما أرخص الأمل!".

يمثل هذا المقطع نموذجا للكيفية التي يدمج فيها الشاعر الاقتصاد بالشعر، فالأرقام هنا ليست تفصيلا عابرا؛ إنّها بنية دلالية تكشف عن هشاشة الأمل في حياة المهاجر. حيث تتحوّل المدينة الإسكندنافية، ببرودتها المناخية والوجدانية، إلى فضاء يسمح بشراء الوهم ضمن دورة أسبوعية. ويصبح الأمل منتجا استهلاكيا، يخضع لسعر صرف محدّد، ويُقاس بزمن أسبوعي.

وتتجلّى المفارقة في التوازي بين قسوة المدينة وقابلية الأمل للشراء، كأنّ النظام الرأسمالي يمنح الفرد حق اقتناء شعور مؤقت، ضمن دورة خسارة متكرّرة، ليتحوّل الفعل الشعري إلى فعل فضح لبنية تجعل الإنسان يشتري احتمالا، ويعيش على أرقام، ويتعايش مع خسارة متوقعة سلفا.

في قصيدة بعنوان "انتهت الحرب" يقول الشاعر: "انتهتِ الحرب، وأصبحَ جميعُ مَنْ عرفتُهم ميتين، أو مجرمي حرب، أو مجرمي حربٍ ميتين".

يُختزل هذا المقطع فلسفة المجموعة في جملة واحدة؛ فالحرب هنا لا تنتهي فعلياً، إذ تترك خلفها عالما منقسمًا بين موتى ومرتكبي جرائم، لتكشف الثنائية التي يقترحها الشاعر عن عالم فقد براءته، ولتتحوّل المعرفة الشخصية إلى عبء، إذ يصير كل من عرفهم الشاعر ضمن خانة قاتمة: إمّا ضحية أو جلاد.

يسهم تكرار عبارة "مجرمي حرب" في تعميق الإيقاع الداخلي، ويخلق صدى نفسيا يوحي بأنّ الفاجعة مستمرة داخل الذاكرة، فيما تأتي اللغة مكثفة وخالية من الزينة، وتعتمد على المباشرة الحادّة. تمثل هذه المباشرة خيارا جماليا واعيا، حيث يتحوّل التقرير إلى صرخة، ويصير السرد وسيلة لتثبيت الشهادة.

في مقطع آخر من القصيدة ذاتها يقول: "لو كنّا في عالم افتراضيٍّ/ لأطفأتُ الحرب كما تطفئينَ التلفزيون/ ولكنّنا وُلدنا في عالم ابن عاهرة/ وحين يُولدُ النّاس في عالمٍ ابن عاهرة/ يتحوّل الزّمن إلى آلةٍ كاتبة/ والقتلى إلى قصائد".

يقدّم هذا المقطع استعارة مركزية؛ تمنح فكرة إطفاء الحرب كما يُطفأ جهاز منزلي القارئ لحظة تخييل طوباوي، سرعان ما تنهار أمام توصيف العالم ككيان منحرف أخلاقياً. يتحوّل الزمن إلى آلة كاتبة، في استعارة تشير إلى حتميّة التوثيق، حيث يكتب التاريخ أسماء القتلى، وتتحوّل أجسادهم إلى نصوص مدوّنة.

تكمن المفارقة، في هذا المقطع، في اعتراف الشاعر بدور الشعر ذاته في تحويل الضحايا إلى قصائد. يتسلّل هنا سؤال أخلاقي: هل يواسي الشعر الضحايا أم يستثمر مأساتهم؟ يطرح الشاعر هذا السؤال ضمنيا عبر تحويل الضحايا إلى مادة كتابية، ويُحمّل القصيدة عبء الذاكرة لتغدو شاهدا على عجز العالم عن إيقاف آلة العنف.

توأم الجرح

يتقاطع في المجموعة جرحان، هما الفلسطيني والسوري؛ فالشاعر ابن دمشق ومنحدر من جذور فلسطينية، يعيش في شمال أوروبا، ما يمنحه موقعا مركّبا. تظهر فلسطين كأفق تحرّر وسوريا ككارثة معاصرة، فيما تبدو أوروبا فضاءً يقدّم ملاذا مشروطا. تنعكس هذه التعددية الجغرافية في اللغة، حيث تمتزج إشارات سياسية مع يوميات المنفى.

تُقدَّم العلاقة بين المواطن الأوروبي والمهاجر ضمن إطار نقدي حادّ؛ إذ ترسم السياسات الأوروبية بوصفها بنية تصنيفية تفصل بين أصل ومهاجر، بين مركز وهامش. ومع ذلك يحتفظ النص بوعي تعقيد الواقع، إذ يعبّر الشاعر عن حبّه لمدن الشمال رغم شعوره بالبرود المتبادل، ويمنح هذا التوتر بين الانتماء والاغتراب القصائد طاقة درامية مستمرة.

> شهادة على زمن تتقاطع فيه الحروب والهجرات تحوّل التجربة الفردية إلى مرآة لجماعة واسعة موزّعة بين قارات

والغضب في هذه المجموعة ليس انفعالا عابرا، إنّه موقف جمالي. اللغة مشدودة، مكثفة، وتميل إلى الجمل الطويلة التي تتراكم فيها الأفكار كما تتراكم طبقات الألم. يكتب الشاعر بوعي أنّ العالم مراقَب بالأرقام، وأنّ الضحايا يُحصَون ضمن تقارير، فيحوّل هذه التقارير إلى مادة شعرية.

يبرز تأثير تجربة الإقامة في برلين وستوكهولم، حيث يتجاور التاريخ الأوروبي المثقل بالحروب مع راهن سياسي يفرز موجات لجوء جديدة. يقف الشاعر عند تقاطع هذه التحولات، ويكتب من موقع شاهد يملك مسافة نقدية، دون أن يفقد حرارة الانتماء.

تدمج مجموعة "لقد أحضرتُ لك يدا مقطوعة" السرد بالشعر، وتحوّل الرقم إلى استعارة، والغضب إلى بنية جمالية. يقدّم الشاعر عبر قصائد ممتدّة شهادة على زمن تتقاطع فيه الحروب والهجرات، ويحوّل التجربة الفردية إلى مرآة لجماعة واسعة موزّعة بين قارات.

اليد المقطوعة التي يهديها الشاعر في عنوانه تبدو كأنّها يد التاريخ نفسه، مقطوعة عن جسد العدالة، تبحث عمن يحتضنها. وفي هذا البحث يولد الشعر شاهدا وغاضبا ومؤمنا بأنّ كل أرض واقعة تحت احتلال تحمل في أعماقها وعد التحرّر.

> الشاعر يتناول تصنيفات عرقية في المخيال الغربي ويعرّي نظرة «الرجل الأبيض» إلى المهاجر، كأنّها نظرة تصدر عن مركزية متعالية

محمد العزوزي الكاتب الذي يعبر الحدود بين الشعر والسرد

إلياس الخطابي
كاتب مغربي

محمد العزوزي شاعر وكاتب مغربي يُعرف بحسّه الإنساني ولغته القريبة من التفاصيل اليومية، حيث تميل نصوصه إلى التأمل في العلاقات والمشاعر والهواجس الداخلية بأسلوب يجمع بين البساطة والعمق. وقد استطاع من خلال حضوره الأدبي والثقافي أن يكوّن صوتًا شعريًا يلامس القارئ عبر صور شاعرية هادئة وأسئلة وجودية تنبع من الواقع الإنساني وتجارب الحياة.

هل يعرف نفسه كشاعر أم ككاتب عابر للأجناس الأدبية؟ عن هذا السؤال يجيب العزوزي في حوار مع "العرب" بالقول "في الحقيقة لا أحب أن أعرف نفسي بمثل هذه الصفات والألقاب التي تبقى من حق القارئ النبيه والجدي. وحده الذي يمكنه أن يحكم بأحقية أي مبدع في حمل اللقب أو الصفة التي يستحقها، وكذلك النقد وأقصد به النقد الحقيقي المبني على الوعي والقراءة والموهبة والذي يكون في مستطاعه التعرف على النص واللا نص بسهولة. بالنسبة إلي كل هذه الصفات تتعايش وتتجاور بداخلي الشاعر الذي يعمق الدهشة باللغة ويدفع بها إلى تخوم الهشاشة والضياع ليولد الإحساس بالجمال والمعنى من اللامعنى حتى وإن اقترب من الضياع والتيه ليوقظ الإنساني في الإنسان والكاتب الذي يمسك بوعي بالسؤال في الكتابة".

ويعتبر العزوزي أن "كل نص هو تحليق بصيغة أخرى ومتجددة في سماء الإبداع وتوطين للسؤال الإنساني ضمن النص وتقاسم للمحبة عبر أجنحة إبداعية، تدعو إلى التحليق في سماء الإنساني الذي لا يتحقق إلا بالإبداع. بالنسبة إلى سؤالك عن الاختيار بين القصيدة والسرد، أنا لا أضع حدودا بين الأجناس إبداعيا، بل أحاول أن أخلق تأرجحا بين أكثر من جنس إبداعي لأجد الطريق لما أريد أن أقوله بيسر وأجد خيطا ناظما بين العابر واللحظي والمستمر حيث أجد في القصيدة تلك القدرة على التحفيز على القبض على الحالة الذاتية المنفلتة والسرد كتدبير وتحقيق للحالات الإنسانية في أبعادها المتعددة".

في عمله الأخير "في طريق البحث عن طريق" يوحي العنوان بحالة من القلق الوجودي، سألناه عن الخلفية الفكرية أو الشعورية التي قادته إلى هذا الكتاب؟ فقال "هو استكمال لتجربتي الشذرية التي تجمع بين الشعر والتأمل في أبعاده الفلسفية والوجودية والإنسانية بعد الكتاب الشذري الأول 'حالات سطو في لاوضوح اللامحتمل' الذي صدر سنة 2022، يتوزع الكتاب على خمسة نصوص، وكل نص مكون من مقاطع وكتب تقريبا في زمن قريب من الأول، وسبق لي أن نشرت نصوصه بملاحق ثقافية لجرائد مغربية في الشذرة. أحاول أن أصف الوجود الإنساني في أبعاده المختلفة مع ترك الأسئلة مفتوحة على التساؤل".

أما في "الرجل الذي فقد لحيته"، فالعنوان يحمل بعدا رمزيا لافتا، ويوضح العزوزي أن الكتاب جاء "استكمالا لتجربتي ورؤيتي القصصية بعد تجربة المجموعة الأولى "الطفل الذي مل من تأجيل ولادته" مع اختلاف في نوعية القصص حيث تضمنت المجموعة في الأغلب قصصا قصيرة جدا، وهو محاولة للاشتغال على هذا التنويع القصصي المبني على التكثيف والإيجاز والمفارقة أن المجموعة مساءلة سردية لمجموعة من القيم داخل المجتمع ولسلوكيات اجتماعية وثقافية وسياسية... وذلك لهدم هذه السلوكيات والنماذج التي تروجها وهو ما تمنحني إياه القصة القصيرة جدا كجنس إبداعي مبني على الإيجاز والاقتصاد في الكلمات".

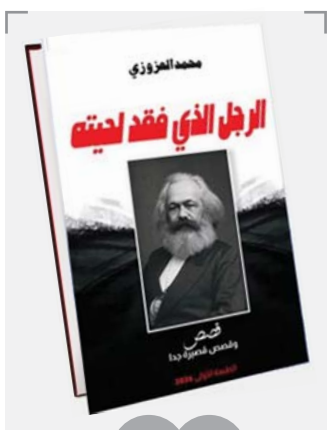

الكتاب جاء استكمالا لتجربتي ورؤيتي القصصية بعد تجربة المجموعة الأولى «الطفل الذي مل من تأجيل ولادته»

وعن الفكرة الأولى للنص، كيف تتشكل، وهل يبدأ بصورة شعرية، أم بمشهد سردي، أم بسؤال فلسفي يقلقه، يقول العزوزي "بالنسبة إلي في الكتابة لا أضرب الموعد معها، لأن الكتابة الإبداعية حالة منفلتة وبنت مشاكسة للقلق، وأقصد به القلق الإبداعي الذي يمثل الجوهر والهوية الشخصية للمبدع، لأن الذي لا يملك القلق لا يمكن أن يكون مبدعا. التشكل يبدأ من القلق أولا ومن التفاعل مع الذات ذاتيا بما تمثله من أحلام وخيبات وألم والواقع حتى في طقوس الكتابة. أنا ابن الفوضى المحفزة ولست من أصحاب النظام والترتيبات لجلسات الكتابة وما يتبعها من طقوس أو صمت".

أردنا معرفة هل يميل الشاعر إلى التكثيف الشعري حتى في السرد، أم يفصل بين لغة القصيدة ولغة الرواية؟ فقال إن "هناك لغة خاصة لكل جنس إبداعي على حدة، التكثيف عنصر جيد للكتابة الإبداعية كيفما كانت نوعيتها، سواء كانت شعرية أو سردية، أما التقريرية فتفقد العمل الإبداعي إبداعيته. أنا دائما أضع هذا العنصر في الحسبان عندما أكتب. لكن التمكن من الإدارة الجيدة لهذه الآلية الإبداعية يحتاج إلى تجربة ومراس في الكتابة عموما، والإبداعية خصوصا، ومهما كانت موهبة المبدع قوية، فإنها تحتاج إلى تمرن على الأدوات الإنشائية. وهذا لن يتأتى للكاتب والشاعر إلا بالكتابة المستمرة، ودون توقف لأن هذه الممارسة فيها يتشكل الوعي بالكتابة والوعي بقدرات الذات الإبداعية واكتشاف موهبته بنفسه في نفسه".

مشاريع كثيرة ما زالت تختمر في عقل العزوزي (لوحة نور بهجت المصري)

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

«أنا أشتم» يكسر وصمة توريت بذكاء الفكاهة ومرارة الواقع

سيرة جون ديفيدسون وكيف قلبت الشتيمة اللاإرادية حياته

يستعرض فيلم "أنا أشتم" سيرة الناشط الأسكتلندي جون ديفيدسون، محولا معاناته مع متلازمة توريت إلى ملحمة إنسانية ملهمة. ببراعة تمثيلية من روبرت أرامايو ورؤيةٍ إخراجية لكيرك جونز، يمزج العمل بينً الفكاهة العفوية والتراجيديا، ليقدمً درسا بليغا في قبول الآخر، وتفكيك الجهل الاجتماعي المحيط باضطرابٍ عصبي لم يفهمه الكثيرون.

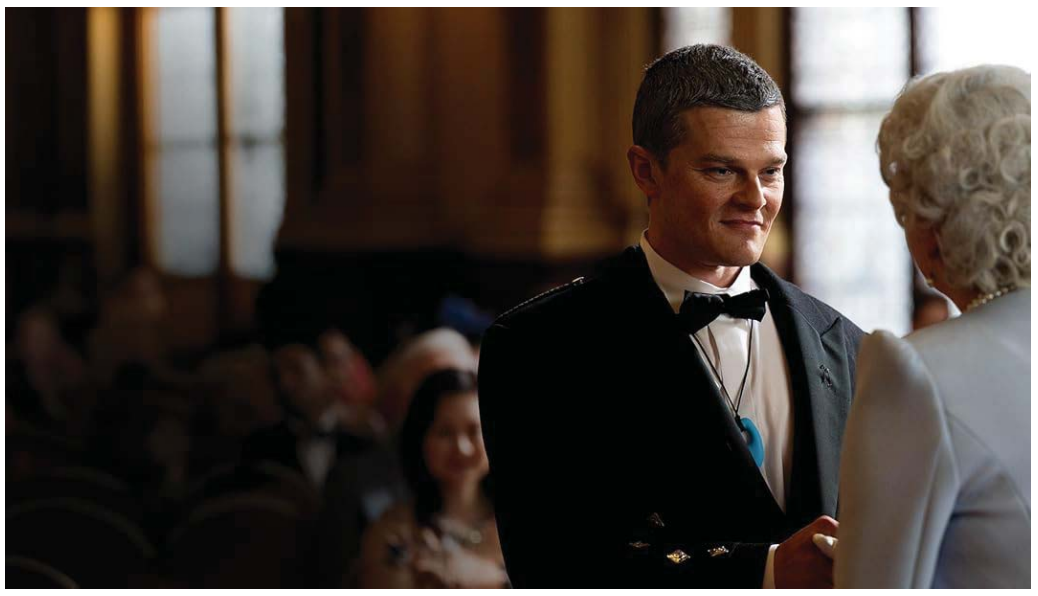

علاء حسن
كاتب عراقي

"أنا أشتم" فيلم كتبه وأخرجه وأنتجه كيرك جونز، ومن بطولة الممثل روبرت أرامايو، وهو فيلم سيرة ذاتية عن حياة جون ديفيدسون الاسكتلندي الذي ينسب إليه تعليم المملكة المتحدة حول متلازمة توريت. يبدأ الفيلم بمقدمة تدور أحداثها في الثمانينات، حيث يظهر جون المراهق، عاداته وهوياته في لعبة الكرة وكيف يحلم بتحقيق حلم أبيه في تطوير مسيرته الناشئة كحارس مرمى.

تدور أحداث الفيلم بمدينة جالاشيلز الأسكتلندية، وفي بداية الثمانينات عاش جون البالغ من العمر 14 عاما حياة عادية إلى حد كبير حتى مراهقته المبكرة. كان حارس مرمى موهوبا جذب انتباه الكشافين المحترفين قبل أن توقف إصابته بمتلازمة توريت التواصل الروتيني بينه وبين الناس، إذ لديه تشنجات عصبية، وميل للتكرار المفرط. بصقه الذي لا يمكن السيطرة عليه، تسبب في النهاية في إجباره على الجلوس أمام الموقد أثناء تناوله العشاء. انفجارات جون وكلماته النابية بشكل فاحش، غالبا ما تكون مضحكة جدا، لكن المشكلة تكمن في ردود الأفعال الجاهلة وليس فيما يفعله أو يقوله جون. لذلك جاءت المشاهد الصدامية مع المدرسين، والشرطة، والقضاة، والمتنمرين صعبة ومؤلمة.

عندما ظهرت عليه لأول مرة أعراض متلازمة توريت بدأ زملاؤه يتنمرون عليه، ويعاقبه المعلمون بقسوة، وبسبب وضع الابن يترك الأب كري البيت، تاركا والدته هندرسون التي تبذل قصارى جهدها مع طفل لا تستطيع فهمه.

بعد قفزة زمنية، نتابعه خلال فترة عمرية في منتصف العشرينات إلى الخمسينات، مرورا بحوادث صادمة مختلفة حيث تتسبب تشنجاته بسبب متلازمة توريت في ضرب واعتقال ورفض من قبل صديقات محتملات وتخلي عائلته عنه بعد أن ترك الأب البيت، وصولا إلى منطقة أكثر جمالا حين يسافر في أنحاء البلاد ليعلم الأطفال عن متلازمة توريت.

يؤدي دور جون ببراعة، الممثل روبرت أرامايو، الذي ينجح في جعل حركات توريت الخاصة به لا إرادية بوضوح، حيث يؤدي الأجزاء المضحكة والحزينة بشكل رائع.

بعد سنوات، يعيد جون (الذي يجسده الآن أرامايو) التواصل مع زميله في الصف موراي (بياشتيني – سميث)، الذي تساعده والدته الممرضة النفسية دوري (بيك) في العثور على عمل مع تومي (مولان) في مركز مجتمعي مع الناس الذين يقبلونه ويفهمون ردود أفعاله اللاإرادية. يبدأ جون في فهم كيف يمكنه مساعدة الآباء والمعلمين وضباط الشرطة. هناك لحظات مؤثرة في هذه القصة، مثلا: عندما ينشئ جون مخيما للأطفال المصابين بمتلازمة (توريت) ويخبرهم أنهم في هذا المكان هم الأغلبية، ولن يسخر منهم أحد.

بعد ثوان من لقائه بوالدة صديقه، دوتي (ماكسين بيك)، التي تعاني من مرض عضال، يقول لها "ستموتين من السرطان، ها ها!"، وفي مقابلة عمل في مركز مجتمعي، يصف رئيسه المحتمل بأنه "وغد مجعد"، وفي عرض مسرحي مدرسي، يصرخ "أنا متحرش بالأطفال!". في كل هذه الحالات، لا تحمل أفعاله عواقب حقيقية، لأن أغلب الناس في حياته يفهمون حالته.

يفلت الفيلم من الاعتماد على الكوميديا لحالة التعاطف بعمق لحالة جون ومعاناته، ويصلك الصدق فعلا. في إحدى المرات، يصبح ديفيدسون لفترة وجيزة أسوأ تاجر مخدرات على الإطلاق، يصرخ "هيروين بنصف السعر!"، بوجه رجال الشرطة أثناء تهريبه لطرد تحت سترته.

يلتزم هذا الفيلم البريطاني بطرح حالة إنسانية وبشكل مؤثر ودقيق وذكي في التعامل مع اضطراب بطله.

إستنادا إلى القصة الحقيقية الملهمة لجون ديفيدسون، الذي تجاوز ظروف حياته وعارضه الطبي ليصبح منارة أمل لآخرين مثله. بينما يدفع الكاتب والمخرج كيرك جونز المشاعر بقوة، لكنه يضيف بعض الفكاهة والصدق إلى السرد، مع أداءات جميلة من طاقم تمثيل ممتاز. يشارك في بطولته روبرت أرامايو بدور الناشط في التوعية بمتلازمة توريت.

وتظهر أعراض هذه المتلازمة على شكل طيف من الحركات العصبية وهي حركات مفاجئة ومتكررة، أو حالات أكثر تطرفا، مثل الشتائم القسرية أو الانفجارات الاجتماعية غير المناسبة.

في عام 2018، عندما حصل ديفيدسون على وسام الإمبراطورية البريطانية في قصر هوليرود تقديرا لجهوده في توعية الجمهور حول الاضطراب. يقترب من المنصة ويصرخ خارج إرادته "تبا للملكة!".

قبل ظهور أعراض المتلازمة التي بدأت في التشنج، كان جون طفلا ذكيا وواثقا من نفسه وكان في طريقه نحو حياة ناجحة. كان له حضور ساحر لا يتجنب أي تفاعلات اجتماعية. كان أيضا لاعب كرة قدم واعدا كان بإمكانه تحويل نجوميته الدراسية إلى مسيرة احترافية مشرقة.

للأسف، تحطمت تلك الأحلام حتى قبل أن يتمكن من اتخاذ خطوته الأولى في ذلك الاتجاه. بعد ظهور التشنجات اللاإرادية، أصبح أكثر انعدام ثقة بنفسه. هذا المرض جرده من العديد من الصفات التي كانت تميزه سابقا. في ذلك الوقت، لم تكن المدرسة تدعمه، ولا والداه. لقد وصموا سلوكه بدلا من محاولة فهم جذوره أو التعامل معه برحمة. كان يعيش في زمن لم يكن فيه أي وعي تقريبا بمتلازمة توريت، التي وسّمت سنوات مراهقته بمعركة شاقة من أجل قبول الذات.

بحلول أوائل العشرينات من عمره، تم تشخيصه بهذه الحالة وتم إعطاؤه الأدوية المناسبة. ومع ذلك، لم يخفف ذلك من توتراته أو تحسن حياته الاجتماعية. كان يكافح في إيجاد عمل أو القيام بأشياء عادة ما يتوق إليها شاب في العشرينات من عمره.

لحسن الحظ، لقي القبول عند شخصين. كان أحدهما والدة زميله في المدرسة، دوتي آشنباخ، بينما كان الآخر معلمه وصاحب عمله تومي تروتر. ساعدت الممرضة المتقاعدة دوتي جون على التخلص من خجله العميق من خلال المعاملة الطيبة، في حين ساعده تومي على تقبل نفسه أكثر من خلال تخفيف لوم تكييفه الاجتماعي. حتى ذلك الحين، قضى معظم حياته في الاعتذار عما لم يستطع التحكم فيه أو علاجه أو تجنبه، ولوم نفسه على تبعاته.

في هذا الفيلم، الكاتب والمخرج كيرك جونز لا يدرك هذا التناقض فحسب، بل يجعله مركزيا في إعادة سرد قصة ديفيدسون الذي كان نفسه هو المنتج التنفيذي للفيلم، والتزم بسعادة بالتقليد السينمائي البريطاني لقصص المدن الصغيرة وكذلك الناس التي تعيش في المدن الصغيرة، دون أن يختطف أو يبسط تجارب ديفيدسون لتعظيم مصداقيته "الإيجابية"، بينما يعزز أداء أرامايو بالتأكيد بسخاء ديفيدسون وعزيمته، إضافة إلى زيادة الإحباط لشخص يعيق عمله اليومي – التسوق الأسبوعي، أو الذهاب إلى المكتبة، بسبب اضطرابه، المشي في أي مكان عام يجعله هدفا. فهو لا يستطيع التحكم في تصرفه، والأهم من ذلك كيف سيرد الآخرون؟

ويجمع هذا الفيلم بين أساليب الدراما والوثائقي بفعالية، وهناك كيمياء واضحة بين أرامايو وبين بيك الذي يقدم شخصية مليئة بالحساسية والجرأة، بالإضافة إلى مولان الذي يتبنى دورا شبه أبوي يمنح الشاب مصدرا لطيفا للانضباط والتركيز. في النهاية، الجهد الذي قدمه أرامايو هو ما يجب أن يؤخذ بقوة للحصول على جائزة بافتا بينما يقدم هذا التصوير المكتوب بذكاء، وغالباً ما يضحك بصوت عالٍ.

> الممثل روبرت أرامايو يؤدي دور جون ديفيدسون ببراعة وينجح في جعل حركات توريت الخاصة به لا إرادية بوضوح

ويظهر المخرج والكاتب جونز مهارة قوية في صياغة فيلم سيرة ذاتية دون الاعتماد كثيرا على بعض القوالب الكلاسيكية، غالبا ما يحافظ ببراعة على فهم الصفات الإنسانية العميقة للقصة، دون أن يصعد المشاعر إلى حد مزيف، بل يسمح للحبكة والشخصيات بالتواصل مع الجمهور.

المصور السينمائي جيمس بلان هو أيضا يرسم ألوان العالم بلوحة ألوان مشابهة، مليئة بمزيج منعش من الأزرق والأصفر والماروني. يجسد النص موقفا متألقا مماثلا من خلال لحظات من الفكاهة العفوية التي تنبع من كلمات جون وأفعاله التي لم يكن يقصدها. ومع ذلك، يبقى حساسا تجاه الموضوع، مما يثير الضحك ليس من إحراجه في تلك المواقف، بل من خلال الحرج الذي لا مفر منه الناتج عنها، ونحن المشاهدين لا نضحك عليه، بل نضحك معه. وبدلا من تناول الفيلم كمعركة بين جون والعالم أو وضعه في مواجهة أي شخصية شريرة، يبقى الفيلم مركزا على الإرادة والإصرار مما يقدم إحساسا ملموسا بمشاعره في أكثر لحظاته قتامة.

وأمام الكاميرا، حقق جونز نجاحا كبيرا في اختياره للممثل روبرت أرامايو الذي كان مصمما على إنصاف ديفيدسون إلى درجة أنه انتقل إلى مسقط رأسه في جالاشيلز قبل بدء التصوير. أرامايو، المعروف بأدواره في "صراع العروش"، كان رائعا في تجسيد الشخصية، واستعد للدور لأشهر حيث عمل مباشرة مع ديفيدسون، بينما طور جونز الفيلم بين مجتمع جالاشيلز، متعاونا مع جمعيات توريت الخيرية ومجموعات الدعم، مثل توريت أسكتلندا والمنظمة الوطنية توريت أكشن.

وقد حظي تطوير الفيلم بدعم كبير من قبل ديفيدسون نفسه والمجتمعات التي يعمل معها، حيث أضاف الأصالة من خلال العديد من الشخصيات الداعمة والخلفية التي لديها متلازمة توريت.

وأثارت جوائز مهرجان الأكاديمية البريطانية للأفلام (البافتا) لعام 2026، ضجةً بمنحها جائزة أفضل ممثل للممثل روبرت أرامايو عن دوره في الفيلم وكان ديفيدسون، حاضرا وانفجر فرحا عند سماعه خبر الجائزة. وعندما أعلن اسم الفائز صرخ روبرت أرامايو متأثرا "لا أصدق ذلك!"، مضيفا أنه "سعيد لأنه لفت الانتباه إلى متلازمة لا تزال غير مفهومة بشكل جيد للغاية".

> المخرج جونز يظهر مهارة قوية في صياغة فيلم سيرة ذاتية دون الاعتماد كثيرا على بعض القوالب الكلاسيكية

النقد السينمائي أبحاث متجددة وربط بين الفن السابع والعلوم الإنسانية

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

يرفض الناقد السينمائي الحقيقي أن يتحول إلى محاب متملق يغير مواقفه وفق مصالحه الشخصية، لأن مثل هذا التحول يفقده كل مصداقية ويحوله إلى أداة دعائية رخيصة. فالجمهور يدرك سريعا أن الكلمات التي تُكتب تحت تأثير المصالح أو الضغوط لا تعتبر تحليلا موضوعيا لأنها تُلبس الحقيقة ثوب التملق. هكذا يصبح النقد تجارة كلامية تُباع لأعلى سعر، فيفقد قدرته على التأثير الحقيقي في الثقافة السينمائية. إن المصداقية هنا بعيدة عن الرفاهية لماذا؟ لأنها جوهر المهنة، دونها يتحول الناقد إلى ظل يتمايل مع الرياح الاقتصادية والعلاقات الشخصية. وكلما ازداد التملق ازدادت المسافة بينه وبين الجمهور الواعي الذي يبحث عن صوت صادق. لذلك يظل الناقد الأصيل ملتزما باستقلاليته حتى لو كلفه ذلك الكثير، لأن قيمته الحقيقية تنبع من صدقه لا من رضا المنتجين أو المخرجين.

يُمارس الناقد السينمائي المهني نقده كبحث مستمر وكتابة يومية لا تتوقف عند مناسبات أو مهرجانات موسمية، فهو يتابع الإنتاجات الجديدة والقديمة باستمرار ويُعيد قراءتها مرارا، إذ إن النقد ليس مقالا سنويا يُكتب للذكرى بل ممارسة يومية تُصقل فيها النظرة وتتطور الأفكار مع كل فيلم جديد، أما من يكتبون مرة كل أشهر أو سنة فهم في الغالب هواة يمارسون الكتابة كهواية عابرة لا كمهنة ملتزمة.

والكتابة المنتظمة تولد رؤية شاملة قادرة على ربط الأفلام بسياقاتها الثقافية والتاريخية، ولهذا يبقى الناقد المهني دائما في حالة يقظة فكرية، يقرأ ويشاهد ويكتب باستمرار ليبقى صوته موثوقا ومؤثرا.

ويصبح الناقد السينمائي باحثا متخصصا في شؤون النفس والمجتمع عندما يتعمق في تحليل الأعمال الفنية، لأن الأفلام والمسلسلات مرآة تعبر عن الوعي الجمعي والصراعات الداخلية. فهو يدرس الشخصيات ككيانات نفسية معقدة ويربط سلوكياتها بالتحولات الاجتماعية المحيطة. كما أنه يفكك الرموز والدلالات المخفية التي تعبر عن مخاوف المجتمع أو أحلامه المكبوتة. وبهذا يتحول النقد إلى أداة معرفية تساعد الجمهور على فهم نفسه ومجتمعه من خلال السينما. إن هذا البحث المستمر يجعل الناقد أقرب إلى عالم الاجتماع أو عالم النفس منه إلى كاتب سينمائي.

وتتطلب دراسة الأفلام والمسلسلات الاستعانة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والسلوكية لتحليل مكونات العمل كرسائل مشفرة أو مباشرة ومعرفة غايتها القصوى. فالناقد يستخدم أدوات علم النفس لفهم دوافع الشخصيات، وعلم الاجتماع لربط القصة ببنية المجتمع، والعلوم الإنسانية لاستكشاف القيم والأيديولوجيات المضمرة. إن كل لقطة أو حوار أو عنصر بصري قد يحمل رسالة تتجاوز السطح إلى أعماق الثقافة. وبهذا النهج العلمي يستطيع الناقد كشف الغاية الحقيقية من وراء العمل، سواء كانت تجارية بحتة أو فنية هادفة أو دعائية خفية. كما أن هذه المعارف تساعده على تقييم مدى صدق الرسالة وتأثيرها على المتلقي.

يُعدّ الناقد السينمائي في عصرنا الحالي أكبر من مراقب للأفلام أو مُبدٍ لرأي فني سطحي، إنه باحث ومحللٌ متعدد التخصصات يربط بين الفن السابع والعلوم الإنسانية برباط عقلاني ومتكامل، إذ يقرأ العمل السينمائي كوثيقة حية تكشف أعماق النفس البشرية وتعقيدات المجتمعات المعاصرة، ومن هذا المنطلق ينشأ التقاطع الخصب بين النقد السينمائي والعلوم السلوكية والاجتماعية التي تقدم له أدوات تحليلية دقيقة تساعده على فك شيفرة الرموز والدلالات المخفية، وتفسير السلوكيات الإنسانية، واستيعاب التحولات الثقافية والاجتماعية التي تمر بها الشعوب، وهذا كله يجعل النقد السينمائي أداة معرفية أساسية في استكشاف الواقع الإنساني المعاصر، لاسيما في زمن الإنتاج السينمائي الغزير والمنصات الرقمية، وقد أكد أندريه بازان في كتابه "ما هي السينما؟" أن كل فيلم يشكل وثيقة اجتماعية تكشف أحلام المجتمع وأوهامه.

> الناقد السينمائي أكبر من مراقب للأفلام، إنه باحث ومحلل يربط بين الفن السابع والعلوم الإنسانية برباط عقلاني ومتكامل
> (صورة من فيلم الفار الطباخ)

ويستعين الناقد السينمائي بعلم النفس كأداة أساسية للغوص في أعماق الشخصيات السينمائية وتحليل دوافعها الداخلية وصراعاتها النفسية المعقدة التي تشكل جوهر السرد الفيلمي، إذ يطبق مفاهيم مثل اللاشعور والصدمات النفسية والقلق الوجودي والآليات الدفاعية ليفسر كيفية تطور الشخصية عبر الأحداث وكيف تتفاعل مع الظروف الخارجية، وهذه الاستعانة مدعومة بأعمال كريستيان ميتز في كتابه "الدال الخيالي: التحليل النفسي والسينما" الذي يربط بين النظرية التحليلية النفسية والمشاهدة السينمائية كتجربة مرآوية، كما في فيلم "جوكر" الذي يُقرأ فيه انهيار آرثر فليك النفسي كنتيجة متراكمة للعزلة الاجتماعية والإهمال الحكومي والضغوط النفسية المستمرة مستلهماً أفكار جان لاكان حول الحقيقة كما طورها سلافوي جيجك في تحليلاته السينمائية، وهذا المنهج يمكّنه من فهم كيفية بناء التوتر العاطفي داخل الفيلم من خلال الإخراج والتمثيل والمونتاج، وبالتالي يصبح الناقد قادراً على ربط التحليل النفسي بالرسالة الفنية بشكل يثري فهم الجمهور للعمل ويجعله أكثر وعيا بتأثيراته العميقة على الوجدان الإنساني.

ويمنح علم الاجتماع الناقد السينمائي أدوات تحليلية قوية ومتعددة تمكنه من قراءة البيئة الاجتماعية التي يدور فيها الفيلم كوثيقة تاريخية وثقافية حية تكشف قضايا المجتمع بكل تعقيداتها، فيفكك الناقد من خلاله الطبقات الاجتماعية وعلاقات السلطة والهويات الثقافية والصراعات بين الأجيال والتحولات الاقتصادية والقيمية، ويظهر ذلك في أعمال مثل الفيلم السينمائي الكوري "طفيلي" الذي يكشف عن الفجوة الطبقية الحادة في المجتمع الكوري مستندا إلى مفهوم "الرأسمال الثقافي" عند بيير بورديو الذي يفسر كيف تحافظ الطبقات على سيطرتها، أو فيلم "كفرناحوم" اللبناني الذي يركز على استغلال الأطفال واللاجئين في مجتمعات عربية معاصرة ويطرح أسئلة معقولة حول مسؤولية المجتمع تجاه الضعفاء، وهذا العلم يساعد الناقد على فهم كيف تنعكس قضايا الفقر والهجرة والتمييز والصراع الطبقي داخل السيناريو والإخراج.

ويدرس الناقد السينمائي تأثير الفيلم على الجمهور من خلال نظريات علم النفس الاجتماعي والإعلام بطريقة منهجية ودقيقة، فيسأل كيف تؤثر الصورة البصرية والموسيقى التصويرية والسرد الدرامي على تشكيل المشاعر والاتجاهات والقيم والسلوكيات لدى الجمهور المتنوع، ويطبق نظريات مثل نظرية الزرع الثقافي ونظرية الاستخدامات والإشباعات، ويفهم لماذا بعض الأفلام تحقق نجاحا عالميا هائلا وتثير جدلا اجتماعيا واسعا حول قضايا عدم المساواة الاقتصادية والرأسمالية المتوحشة كما في تحليلات جيجك، وهذا التحليل يمكّن الناقد من تفسير الظواهر الثقافية الكبرى التي تشكل الرأي العام.

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

اختبار فائق الحساسية يكشف المؤشرات الحيوية للخرف

تكتلات غير طبيعية من البروتين «تي.دي.بي ـ 43» تحدد الإصابة بالخرف الجبهي الصدغي

الخرف مرض فقدان القدرات المعرفية

طور فريق من الباحثين اختبارا فائق الحساسية قادرا على اكتشاف كتل غير طبيعية من بروتين يسمى "تي.دي.بي ـ 43، والذي يحدد نوعًا فرعيًا من أمراض الخرف، وهو الخرف الجبهي الصدغي، ويرى الخبراء أن هذه خطوة أولى، ولكنها مهمة لأنها تعطيهم شيئًا قابلا للقياس. وسوف يمكنهم الاختبار من تشخيص المرضى ومراقبة فعالية العلاج في التجارب السريرية ومتابعة تطور المريض.

واشنطن - يمكن للنتائج المنشورة الآن في مجلة الخرف والزهايمر أن تساعد الأطباء على تشخيص مرضى الخرف بشكل أفضل من خلال علم الأمراض الصحيح، وتحسين البحث وتطوير الأدوية، وذلك بعد أن قام خبراء بتطوير اختبار فائق الحساسية قادر على اكتشاف كتل غير طبيعية من بروتين يسمى "تي.دي.بي ـ 43" والذي يحدد نوعًا فرعيًا محددًا من أمراض الخرف (الخرف الجبهي الصدغي).

وفي الدراسة التي نشرت نتائجها في المجلة، وجد الخبراء تركيزات مرتفعة من العلامات الحيوية التي ترتبط بخطورة مرض الخرف الجبهي الصدغي. وقال المؤلف المشارك ديفيد آر والت، الحاصل على الدكتوراه، من قسم علم الأمراض في ماس جنرال بريغهام، وهو أيضًا عضو هيئة تدريس أساسي في معهد ويس في جامعة هارفارد، وعضو مشارك في معهد برود، وأستاذ في معهد هوارد هيوز الطبي، "هذه مجرد خطوة أولى، ولكنها مهمة لأنها تعطينا شيئا قابلا للقياس. رؤيتنا هي إنشاء اختبار لتشخيص المرضى، ومراقبة فعالية العلاج في التجارب السريرية، ومتابعة تطور المريض".

وتمثل الدراسة تعاونًا بين الباحثين ذوي الخبرة العميقة في علم الأمراض وعلم الأعصاب.

ويؤثر الخرف على أكثر من 57 مليون شخص في جميع أنحاء العالم، ومن المتوقع أن يتضاعف هذا العدد تقريبًا خلال العشرين عامًا القادمة.

ويؤثر هذا الفقدان الدائم للقدرات المعرفية على الوظائف اليومية ويمكن أن يكون سببه أمراض دماغية متعددة، بما في ذلك الأمراض المعروفة مثل مرض الزهايمر. وفي الوقت الحالي، تسمح المؤشرات الحيوية بتشخيص مرض الزهايمر، ولكن ليس الأمراض النادرة مثل تنكس الفص الجبهي الصدغي أو أنواعه الفرعية.

ورغم أن هناك حاجة إلى المزيد من العمل للتحقق من صحة هذا الاختبار بدقة، ولكن هذه الدراسة تضع إطارًا لتطوير أدوات أفضل لتشخيص هذا المرض المدمر ومراقبة الأمراض الجزيئية بين المرضى الذين يعانون من الخرف الجبهي الصدغي، بحسب ما قاله المؤلف المشارك الرئيسي أندرو إم ستيرن، الحاصل على الدكتوراه في الطب، وهو باحث رئيسي في معهد ماس جنرال بريغهام لعلم الأعصاب.

> **اكتشاف تكتلات غير طبيعية من البروتين «تي. دي.بي. 43» يساعد في تحديد الإصابة بالخرف الجبهي الصدغي**

وأضاف أن اختبارهم هو واحد من العديد من الاختبارات قيد التطوير في جميع أنحاء العالم والتي تظهر نتائج واعدة في إعطاء مرضى الخرف في نهاية المطاف تشخيصًا دقيقًا، وهو أمر ضروري لتطوير علاج دقيق.

ويعلم أطباء الأعصاب أن مجموعة الأعراض التي يعاني منها المريض وحدها لا تتنبأ دائمًا بالتغيرات الجزيئية المجهرية في دماغه. لذلك، يتطلب التشخيص غالبًا اختبارات للعلامات الحيوية قادرة على تشخيص هذه الأمراض الجزيئية المسببة للخرف.

ومع ذلك، لم تكن هناك طريقة للأطباء للتمييز بين الأنواع الفرعية المختلفة من أمراض الخرف الجبهي الصدغي، وكلها تؤدي إلى إضعاف سلوك المرضى بشكل تدريجي، والتنظيم العاطفي، والتعبير اللفظي، والتنظيم لديهم.

تتضمن أدوات التشخيص الحالية للخرف الجبهي الصدغي اختبارات التصوير التي يمكن أن تساعد في تحديد ما إذا كان الدماغ يتدهور ولكن لا تفرق بين علم الأمراض الجزيئي. ولتطوير علامة حيوية خاصة بالمرض المذكور، قام الباحثون بتكييف إستراتيجية استخدموها سابقًا للكشف عن ألفا سينوكلين غير المطوي، والذي يكمن وراء مرض باركنسون.

يفصل الاختبار السائل النخاعي للمريض إلى أجزاء صغيرة بحجم نانو لتر، ويحسب رقميًا عدد "بذور" بروتين "تي.دي.بي ـ 43" الموجودة تحت المجهر.

قام الباحثون بتحليل 30 عينة من السائل الدماغي النخاعي من أفراد مصابين بالخرف الجبهي الصدغي و10 من أفراد أصحاء. أولئك الذين لديهم الخرف الجبهي الصدغي كان لديهم تركيزات أعلى من "بذور" بروتين "تي. دي.بي ـ 43". والأهم من ذلك، أن مستويات البذور ترتبط بخطورة المرض، فكلما زادت شدة أعراض المريض، زاد عدد البذور التي اكتشفها الاختبار. وتسلط النتائج الضوء على إمكانات الاختبار كأداة تشخيصية، والتي يمكن أن تساعد في تجنيد المرضى بشكل أكثر دقة للتجارب السريرية وتتبع فعالية العلاج أو تطور المرض مع مرور الوقت.

وبحسب خبراء "مايو كلينيك" يعد الخَرَف الجبهي الصدغي مصطلحا شاملا لمجموعة من الأمراض الدماغية التي تصيب الفصين الجبهي والصدغي من الدماغ بشكل أساسي. وترتبط هذه المناطق من الدماغ بالشخصية والسلوك واللغة.

وفي حالة اضطرابات الخَرَف الجبهي الصدغي تتقلص أجزاء من هذين الفصين، فيما يُعرف بالضمور. وتختلف الأعراض باختلاف الجزء المصاب من الدماغ. تطرأ على بعض المصابين بالخَرَف الجبهي الصدغي تغيرات في شخصياتهم. إذ تصبح تصرفاتهم غير لائقة اجتماعيا وقد يكونون اندفاعيين أو غير مبالين عاطفيا. بينما يفقد آخرون القدرة على استخدام اللغة بشكل صحيح.

يمكن أن يُشخَّص الخَرَف الجبهي الصدغي بشكل خاطئ على أنه حالة مَرَضية عقلية أو داء الزهايمر. إلا أن الخَرَف الجبهي الصدغي يميل إلى الحدوث في سن أصغر من داء الزهايمر. ويبدأ غالبًا في سن تتراوح بين 40 و65 عاما، لكنه قد يحدث في مرحلة عمرية متأخرة عن ذلك أيضا. ويُعد الخَرَف الجبهي الصدغي سبب الإصابة بالخَرَف في نحو 10 إلى 20 في المئة من الحالات.

إشادة بفاعلية الأدوية البيولوجية الحديثة في علاج داء المفاصل بتونس

تونس - أشاد أطباء أمراض العظام والمفاصل والأطباء الشبان المجتمعون في المؤتمر العلمي السابع والثلاثين للجمعية التونسية لمقاومة داء المفاصل في تونس بالأدوية البيولوجية الحديثة ومساهمتها في تحسين علاج المرضى.

وقال رئيس الجمعية التونسية لمقاومة داء المفاصل، الدكتور سهيل العلوي، إن الأدوية البيولوجية الحديثة، التي أصبحت متوفرة اليوم في تونس، ساهمت بنسبة كبيرة في تحسين علاج المرضى وحققت نتائج ممتازة، مبرزا أن الجمعية التونسية لمقاومة داء المفاصل تعمل، بالتعاون مع الجهات الصحية، على إيجاد حلول لمسألة كلفة هذه الأدوية وتسهيل الوصول إليها لفائدة أكبر عدد ممكن من المرضى.

وأضاف العلوي أن العلاجات الطبيعية والتداوي بالمياه المعدنية من شأنهما تحسين جودة حياة المرضى، باعتبارهما مكملين للعلاجات البيولوجية والكيميائية، معتبرا أن الجمعية، التي تنظم العديد من الحملات التحسيسية والأيام المفتوحة بالمستشفيات، تعمل على تعميق الوعي بأهمية التشخيص المبكر والمتابعة الطبية لأمراض المفاصل.

وبيّن، من جهة أخرى، أن أمراض المفاصل تمسّ مختلف الفئات العمرية، ويمكن أن تكون لها عوامل وراثية وأخرى مرتبطة بالمحيط الطبيعي، مؤكدا ضرورة توجه كل من يعاني من التهابات أو تورّم بالمفاصل أو صعوبة في المشي، في أقرب وقت، إلى الطبيب المختص في أمراض المفاصل والعظام.

وبخصوص التوقّي من أمراض المفاصل، شدد العلوي على ضرورة عدم الاستهانة بأوجاع المفاصل، خاصة إذا طالت مدتها، والتوجه لاستشارة الطبيب المختص، مبرزا أهمية المحافظة على اللياقة البدنية من خلال ممارسة الرياضة واعتماد النظام الغذائي المتوسطي، القائم أساسا على استهلاك زيت الزيتون والمواد الغنية بـ"أوميغا 3، والذي أثبتت الدراسات العلمية أهميته في التوقي من عدة أمراض، من بينها أمراض المفاصل.

وفي ما يتعلق بواقع القطاع في تونس أشار رئيس الجمعية إلى أن علاج أمراض الروماتيزم شهد تطورًا ملحوظًا خلال السنوات الأخيرة، خاصة مع توفر الأدوية البيولوجية التي حققت نتائج إيجابية في علاج العديد من الأمراض.

وبيّن أن التحدي الأبرز يظل مرتبطًا بكلفة العلاج وإمكانية وصوله إلى جميع المرضى، مؤكدًا أن الجهود متواصلة بالتنسيق مع الهياكل الصحية لتحسين التكفل بالمرضى وضمان توفير الأدوية في أفضل الظروف بمختلف الجهات.

ويعد داء التهاب المفاصل منتشرا في تونس، وفق ما أكدته وفاء حمدي الكاتبة العامة المساعدة للجمعية التونسية لمقاومة داء المفاصل.

وبحسب حمدي، تشير الإحصائيات إلى أن انتشار داء التهاب المفاصل الرسوي بتونس يقدّر بنسبة 0.3 في المئة، فيما يصيب داء تآكل الغضروف بالركبة الأشخاص فوق 40 سنة بنسبة 20 في المئة، في حين تبلغ نسبة الإصابة بتآكل غضروف الورك 6 في المئة.

وكانت الجمعيّة التّونسيّة لمقاومة داء المفاصل قد عرضت على وزير الصحة مصطفى الفرجاني مشروع الإستراتيجيّة الوطنيّة للتقصّي والتكفّل بمرض هشاشة العظام.

وحسب بلاغ للوزارة تم خلال اللقاء التركيز على أهمية الكشف المبكر والمتابعة المنتظمة للمرضى وإحداث مراكز متابعة الكسور للوقاية الثانوية وضمان النفاذ العادل إلى العلاج والأدوية.

ومن عناصر تلك الإستراتيجية إرساء سجل وطني للكسور لتحسين التخطيط و دعم التكوين والبحث العلمي والتوعية إلى جانب بعث ديبلوم جامعي في أمراض هشاشة العظام بكليات الطب لتأهيل أطباء مختصين.

ويبلغ عدد كليات الطب بتونس أربع كليات متواجدة في سوسة وصفاقس وتونس والمنستير.

بدوره، أكد وزير الصحّة على ضرورة اعتبار هشاشة العظام أولوية صحية وطنية، مؤكداً أنّ التشخيص المبكر والتكفل الشامل يجب أن يشملا كل الجهات في إطار مقاربة عادلة.

وكانت الدكتورة هالة الساحلي الرئيسة السابقة للجمعية التونسية لمقاومة داء المفاصل قد أكدت أن العديد من المرضى لا يحسنون التفريق بين أعراض المرض وعادة ما يتوجهون إلى اختصاصات مشابهة وهو ما يتسبب في تفشي المرض وفي تأخر تشخيص الإصابة بالروماتيزم، وحينها لا يكون العلاج بالأدوية فعالا إذ أن الروماتيزم يغطي مجموعة واسعة من الحالات الصحية المختلفة ومنها ما يصيب مفصلا واحدا أو منطقة واحدة في الجسم مثل النقرس وإصابة الإجهاد المتكرر والكتف المتجمد، ومن الأمراض الأخرى التي تصيب أكثر من مفصل التهاب المفاصل، وهو الشكل الأكثر شيوعاً من أمراض المفاصل والذي يرتبط بتقدم العمر المصحوب بتلف الغضاريف.

> **علاج أمراض الروماتيزم شهد تطورًا خلال السنوات الأخيرة، خاصة مع توفر الأدوية البيولوجية التي حققت نتائج إيجابية**

وعلى الرغم من أن 80 في المئة من الإصابات بأمراض المفاصل هي نتيجة لأسباب جينية إلا أن الـ20 في المئة المتبقية مرتبطة بالوزن الزائد والأرق والتدخين.

ووفقا لدراسة نشرتها الرابطة العربية لأمراض الروماتيزم فإن هذا الاختصاص يغطي معدل 2 طبيبين لكل 100 ألف ساكن.

وتختلف أعراض الروماتيزم باختلاف المرض، حيث لا تقتصر أمراض المناعة الذاتية على المفاصل فحسب وإنما تتسبب في ظهور أعراض على مختلف أجزاء الجسم، وتشمل الأعراض الأكثر شيوعاً الوجع والألم والتورم في أجزاء مختلفة من الجسم وخاصة حول المفاصل وتصلب العضلات والمفاصل وصعوبة تحريكها، وخصوصا في أول ساعة من النهار، واحمرار المفاصل والتعب والشعور العام بالتوعك والحمى. وتؤثر هذه الأعراض على جودة حياة المريض وقد تتسبب في إعاقة دائمة.

والتهاب المفاصل ليس حالة واحدة، بل مصطلح عام يشمل العديد من الحالات التي تؤثر في المفاصل. ويرتبط التهاب المفاصل عادة بالألم الذي يؤثر في القدرة على تحريك المفصل. ويُسبب التورُّم والشعور بألم عند لمس واحد أو أكثر من مفاصل الجسم. والأعراض الرئيسية هي ألم المفاصل والتيبّس، ما قد يؤثر في الأنشطة اليومية والعمل. النوعان الأكثر شيوعًا لالتهاب المفاصل هما الالتهاب المفصلي العظمي والتهاب المفاصل الروماتويدي.

التشخيص المبكر يساعد على الشفاء

تقنية جديدة لمحاربة مشكلات الجهاز الهضمي

موسكو - بدأ فريق من العلماء في روسيا الاختبارات السريرية على نظام جديد لتحليل المكروبات المعوية يفيد في مواجهة مشكلات السمنة واضطرابات الجهاز الهضمي.

وأشار خبراء من المعهد العلمي والتكنولوجي للصحة الأيضية في جامعة موسكو الطبية الحكومية الأولى إلى أن النظام الجديد يعتمد على تقنية تفاعل البوليميراز المتسلسل والمتعدد، ويقدم النتائج في نفس اليوم، ويساعد الأطباء على تصميم العلاج بما يتناسب مع تركيبة الميكروبات المعوية لكل شخص.

وأوضح الأكاديمي والباحث في أكاديمية العلوم الروسية فلاديمير إيفاشكين أن النظام الجديد يقيّم التركيبة الكمية للمكروبات المعوية، بما في ذلك البكتيريا الممرضة وفطريات "كنديدا" الموجودة في الأمعاء، وبتكلفة منخفضة، ويمكن استخدام هذه التقنية لعلاج أمراض الجهاز الهضمي، واضطرابات المناعة، واضطرابات القلق، والسمنة، وغيرها من الاضطرابات المرتبطة بمحور "الأمعاء – الدماغ" ومحور "الأمعاء – المناعة".

بدوره أشار الباحث الروسي رومان ماسلينيكوف إلى أن تحديد كمية البكتيريا الموجودة في الأمعاء سيساعد على وصف أدوية أكثر فاعلية للذين يعانون من السمنة وأمراض الجهاز الهضمي، ووصف علاجات شخصية لكل مريض تعتمد على البروبيوتيك، مؤكدا أن الأبحاث لا تزال جارية في هذا المجال.

والسمنة مرض معقد تزيد فيه كمية دهون الجسم زيادة كبيرة. وقد يعتقد أنها متعلقة بشكل الجسم فحسب، ولكنها حالة مَرَضية تزيد عوامل خطر الإصابة بالكثير من الأمراض، والتي قد تتضمن مرض القلب وداء السكري وارتفاع ضغط الدم وارتفاع مستوى الكوليسترول وأمراض الكبد وانقطاع النفس النومي وبعض أنواع السرطان.

وهناك الكثير من الأسباب التي تجعل البعض يواجه صعوبة في إنقاص الوزن. تحدث السمنة عادةً بسبب عوامل وراثية وفسيولوجية وبيئية، إضافةً إلى اختيارات النظام الغذائي والنشاط البدني وممارسة الرياضة.

ويمكن لإنقاص قدر بسيط من الوزن أن يحسن الحالات المَرَضية المرتبطة بالسمنة أو يقي منها. ومن العوامل التي يمكن أن تساعد في إنقاص الوزن اتباع نظام غذائي صحي وزيادة مستوى النشاط البدني وإدخال بعض التغييرات السلوكية. ومن الخيارات الأخرى لعلاج السمنة، الأدوية التي تُصرف بوصفة طبية والإجراءات الطبية لإنقاص الوزن.

> **تحديد كمية البكتيريا الموجودة في الأمعاء سيساعد على وصف أدوية أكثر فاعلية للذين يعانون من السمنة**

وتندرج السمنة ضمن ما يعرف بالمتلازمة الأيضية، وهي مجموعة من الاضطرابات الصحية التي تحدث معاً وتزيد من خطر أمراض القلب والسكتات والسكري. وتشمل ارتفاع ضغط الدم وارتفاع السكر وارتفاع الكوليسترول. المتلازمة الأيضية شائعة جداً وتؤثر على حوالي 25 – 30 في المئة من السكان البالغين في بعض الدول. ومن أسبابها مقاومة الأنسولين، والالتهاب المزمن والخلل الهرموني.

الأمراض الأيضية في تزايد

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

اللقب الـ29 يرسخ ثورة لاماسيا ويسقط استثمارات ريال مدريد

تتويج برشلونة يكشف عيوب مشروع الملكي

ثقافة لا تنتهي

لا يحصل برشلونة على جائزة مالية مباشرة ومحددة مقابل التتويج بلقب الدوري الإسباني، لكنه يضمن في المقابل واحدة من أكبر الدفعات الاقتصادية والأكثر أهمية في كرة القدم الإسبانية بأكملها. فالفوز باللقب يترجم بشكل مباشر إلى زيادة هائلة في الإيرادات، خصوصا من خلال توزيع حقوق البث التلفزيوني، حيث يحصل صاحب المركز الأول على أكبر تعويض مالي بين جميع الأندية.

مدريد - لم يكن صخب الجماهير في ملعب "سبوتيفاي كامب نو" مجرد احتفال بلقب دوري. كان صرخة انبعاث لناد قيل قبل عامين فقط إنه يحتضر ماليا وفنيا. ومع صافرة النهاية التي أعلنت فوز برشلونة على غريمه التقليدي ريال مدريد 2 – 0، وتتويجه رسميا بلقب الدوري الإسباني للمرة الـ29 في تاريخه، اكتملت واحدة من أعظم قصص العودة في تاريخ كرة القدم الحديثة.

خلف مشهد المدرب الألماني هانسي فليك وهو يحمل على الأعناق في وسط الملعب، كانت تكمن قصة إنسانية لم يعلم بها الكثيرون إلا بعد المباراة. ففي صباح يوم "الكلاسيكو" الحاسم، تلقى فليك مكالمة هاتفية من والدته تخبره بوفاة والده. ورغم الفاجعة اختار المدرب الألماني البقاء مع "عائلته الثانية" في غرفة الملابس، وقاد الفريق نحو اللقب بتركيز مذهل.

وعقب المباراة قال فليك بنبرة مؤثرة "لقد كان يوما صعبا ولن أنساه أبدا. فخور جدا بفريقي، ليس فقط بسبب الأداء، بل بسبب الطريقة التي تفاعل بها اللاعبون عندما أخبرتهم برحيل والدي. نحن لسنا مجرد فريق، نحن عائلة حقيقية". هذا التلاحم العاطفي كان الوقود الذي أحرق أحلام ريال مدريد في ليلة الحسم.

لكي نفهم حجم إنجاز برشلونة، يجب أن ننظر إلى الطرف الآخر من العاصمة. في مايو 2024 كان ريال مدريد يعيش زهو التتويج بلقب دوري الأبطال والاحتفال بقدوم كيليان مبابي، وسط شعور بأن الملكي سيحكم أوروبا لسنوات طويلة. لكن بعد عامين، انقلبت الآية تماما؛ فبينما حصد برشلونة 5 ألقاب، منها لقبان متتاليان في الدوري الإسباني، اكتفى ريال مدريد بكأس السوبر الأوروبي فقط.

عيوب كبيرة

لقد كشف تتويج برشلونة عيوب مشروع ريال مدريد الذي أنفق أكثر من 200 مليون يورو على لاعبين مثل إندريك ودين هويسن وفرانكو ماستانتونو، دون أن يجدوا من يعوض رحيل توني كروس ولوكا مودريتش. وبينما كان مدريد يغير ثلاثة مدربين في موسمين (كارلو أنشيلوتي وتشابي ألونسو وألفارو أربيلوا)، كان هانسي فليك يبني مشروعا مستقرا يعتمد على اللعب الجماعي بدل اللعب الفردي.

كان ماركوس راشفورد ثمرة "الكرز" التي زينت كعكة التتويج. المهاجم الإنجليزي الذي انتقل إلى النادي الكاتالوني معارا من مانشستر يونايتد بعد خروجه من حسابات المدرب السابق روبن أموريم، وجد في كتالونيا الملاذ الآمن. هدفه الرائع من ركلة حرة في شباك كورتوا كان بمثابة "رصاصة الرحمة" التي أهدت اللقب لبرشلونة.

وعقب المباراة لم يرغب راشفورد في حسم مستقبله لكنه ترك الباب مواربا بقوله "هذه هي الطريقة المثالية التي أريد أن ينتهي بها الأمر. أنا سعيد للغاية وأعيش اللحظة الحالية، وفي نهاية الموسم سنرى ما سيحدث".

وفي الوقت الذي كانت فيه خزينة النادي الكاتالوني تعاني، قرر برشلونة النظر إلى أكاديمية لاماسيا. فظهر جيل مذهل بقيادة لامين يامال وباو كوبارسي ومارك برنال ومارك كاسادو، لينضموا إلى أليخاندرو بالدي وجافي وفيرمين لوبيز. هؤلاء الأطفال الذين لم يكلفوا النادي أي أموال تذكر، أصبحوا اليوم يساوون الملايين في سوق الانتقالات.

وبذكاء إداري من ديكو المدير الرياضي، تم تدعيم هؤلاء الشباب بصفقات مدروسة بعناية مثل داني أولمو، الذي يملك الحمض النووي لبرشلونة، والحارس المتألق خوان غارسيا. وبميزانية لم تتجاوز 75 مليون يورو للثنائي، تفوق برشلونة على أندية أنفقت أضعاف هذا الرقم.

منذ يومه الأول كان فليك واضحا؛ الفريق فوق الجميع. نجح المدرب الألماني في تذويب "الأنا" داخل غرفة الملابس، محولا الفريق إلى كتلة واحدة تدافع بضراوة وتهاجم بشراسة. وعن هذا النجاح يقول فليك "لقد لعب الفريق موسما رائعا وأظهر اللاعبون شخصية قوية. كانت لدينا خطة واضحة، واللاعبون نفذوها بدقة مذهلة. نحن الآن نريد الوصول إلى 100 نقطة في المباريات الثلاث المتبقية".

هذا الطموح يعكس الرغبة في تحطيم الأرقام القياسية وعدم الاكتفاء باللقب، وهو ما أكده نائب الرئيس رافا يوستي بقوله "لدينا فريق رائع وجمهور مذهل يستحق هذا اللقب أكثر من أي شخص آخر. نحن مستمرون في بناء مشروع يجعل أعضاءنا فخورين".

لم تتوقف الاحتفالات بلقب الدوري الإسباني منذ مساء الأحد، حيث بدأت مسيرة من ملعب "سبوتيفاي كامب نو" مرورا بمناطق أيقونية مثل لا بيدريرا وشارع جران فيا، بمشاركة التميمة الشهيرة للنادي والآلاف من العشاق الذين انتظروا هذه اللحظة طويلا.

هيمنة كتالونية

هذا التتويج لم يكن مجرد إضافة رقم جديد إلى سجلات النادي، بل كان تأكيدا على هيمنة كتالونية كاسحة؛ حيث فاز برشلونة بـ11 لقبا للدوري في آخر 18 موسما، وهو رقم يوضح الاستمرارية المذهلة للنادي رغم كل الأزمات الإدارية والمالية التي مر بها. عندما رفع القائد رونالد أراوخو درع الدوري الـ29، كانت الرسالة واضحة للعالم أجمع: برشلونة لا يموت. لقد أثبت النادي أن التمسك بالهوية، والرهان على أبنائه، واختيار المدرب المناسب الذي يفهم قيم النادي، هي الخلطة السحرية للنجاح.

وكما قال خوان لابورتا رئيس النادي الكاتالوني، في لحظة نشوة، "لقد استعدنا فرحة جماهير برشلونة. هذا لقب تاريخي فزنا به بالكثير من الجهد والموهبة. اليوم هو يوم للاحتفال بهويتنا وتاريخنا، ونحن فخورون بأننا على الطريق الصحيح". لقد انتهى "الكلاسيكو"، وجرى حسم لقب الدوري الإسباني، لكن قصة هذا الجيل الشاب مع هانسي فليك يبدو أنها لا تزال في فصولها الأولى، فمن يملك هذا المزيج من الروح والموهبة، لا يمكن أن يكتفي بـ29 لقبا فقط.

> بينما كان ريال مدريد يغير ثلاثة مدربين في موسمين، كان فليك يبني مشروعا مستقرا يعتمد على اللعب الجماعي

هل يقدر صن داونز على فك عقدة الأندية المغربية خارج معقله

بريتوريا - يدخل نادي ماميلودي صن داونز الجنوب أفريقي نهائي دوري أبطال أفريقيا لموسم 2025 – 2026 أمام فريق الجيش الملكي المغربي بسجل تاريخي متكافئ للغاية ضد أندية المغرب، مما يضفي مزيدا من الإثارة على هذه القمة القارية المرتقبة. ومن المقرر أن يستضيف صن داونز مباراة الذهاب يوم الأحد المقبل، قبل أن يتوجه إلى الرباط لخوض مباراة الإياب الحاسمة في 24 مايو.

ورغم أن المواجهات المباشرة بين صن داونز والأندية المغربية لم تبدأ إلا في عام 2017، فإن السنوات التسع الأخيرة شهدت زخما كبيرا بواقع 18 مواجهة، أسفرت عن 5 انتصارات لصن داونز و6 هزائم و7 تعادلات، مع تساوي الكفتين تماما في الأهداف بواقع 14 هدفا لكل طرف.

تبرز في تاريخ هذه المواجهات معادلة رقمية لافتة، حيث لم يسبق لصن داونز أن خسر أي مباراة على أرضه أمام الفرق المغربية، محققا خمسة انتصارات وأربعة تعادلات. وفي المقابل، يطارد الفريق الجنوب أفريقي حلم تحقيق فوزه الأول على الأراضي المغربية، حيث اكتفى بثلاثة تعادلات وتلقى ست هزائم في زياراته التسع السابقة لشمال أفريقيا، وهو ما يجعل نتيجة مباراة الذهاب في بريتوريا حاسمة لتحديد ملامح البطل القاري قبل موقعة الإياب.

تعد المواجهة مع الجيش الملكي حديثة العهد، حيث التقى الفريقان في دور المجموعات للموسم الماضي وانتهت المباراتان بالتعادل 1 – 1 وسجل صن داونز أولا في المباراتين عبر إكرام راينرز وبيتر شالوليلي، لكن الجيش الملكي نجح في العودة في كلتا المناسبتين بفضل هدفي محمد حريمات والأمين زوحزوح. ومع ذلك، يظل الوداد البيضاوي هو الخصم المغربي الأكثر ظهورا في مسيرة صن داونز بواقع 12 مواجهة، كان أبرزها نهائي الدوري الأفريقي 2023 الذي حسمه صن داونز بنتيجة 3 – 2 في مجموع المباراتين.

تاريخيا، لم ينجح صن داونز في تجاوز الأندية المغربية إلا في دور إقصائي واحد من أصل أربع مواجهات، كان ذلك في نهائي الدوري الأفريقي أمام الوداد. بينما شهد دوري أبطال أفريقيا تفوقا مغربيا في أدوار خروج المغلوب أعوام 2017 و2019 و2023.

وكشف الموقع الرسمي للاتحاد الأفريقي لكرة القدم (كاف) أن 39 في المئة فقط من هذه المواجهات شهدت تسجيلا من كلا الجانبين، بينما كان التعادل السلبي أو الفوز بنتيجة 1 – 0 هو السيناريو الأكثر تكرارا، مما يشير إلى أن مواجهة الجيش الملكي ستكون معركة تكتيكية بامتياز يغلب عليها الحذر الدفاعي.

أرسل ماميلودي صن داونز الجنوب أفريقي إشارة تحذيرية واضحة قبيل مواجهته المصيرية أمام الجيش الملكي المغربي في نهائي دوري أبطال أفريقيا، عقب فوزه الساحق على سوبر سبورت يونايتد بنتيجة 7 – 4 ضمن منافسات الجولة الـ29 من الدوري المحلي.

> الفريق الجنوب أفريقي يطارد فوزه الأول في المغرب، حيث اكتفى بثلاثة تعادلات وتلقى ست هزائم في زياراته في شمال أفريقيا

جاء هذا العرض الهجومي الاستثنائي ليؤكد الجاهزية القتالية للعملاق الجنوب أفريقي، الذي يسعى لإحراز لقبه القاري الثاني بعد تتويجه الأول عام 2016، مستندا إلى رصيده الغني من المشاركات القارية خلال السنوات الماضية.

ترسانة قوية

سيناريوهات معقدة تطبع لقب الدوري السعودي.. طموح النصر يتحدى استفاقة الهلال

الرياض - تترقب جماهير كرة القدم السعودية مواجهة "الديربي" الحاسمة بين النصر والهلال الثلاثاء ضمن الجولة الـ32، حيث تضع هذه المباراة ملامح بطل الدوري في ميزان الحسابات المعقدة والسيناريوهات المثيرة التي قد تحسم اللقب أو تؤجل إعلانه حتى اللحظات الأخيرة.

وتتعدد الاحتمالات المرتبطة بنتيجة هذه المواجهة المصيرية، ففي حال انتهت المباراة بالتعادل، سيتأجل حسم هوية البطل إلى الجولة الـ34 والأخيرة، مع بقاء الأفضلية في يد النصر. فإذا تعادل الفريقان، سيبقى النصر بحاجة إلى الانتصار على ضمك في محطته الأخيرة لضمان اللقب، حتى في حال فوز الهلال بمباراتيه المتبقيتين. كما قد يبتسم الحظ للنصر في الجولة قبل الأخيرة في حال تعثر الهلال بالخسارة أو التعادل أمام نيوم.

في المقابل تحسن موقف الهلال بشكل ملحوظ بعد خسارة النصر أمام القادسية في الجولة الـ31، حيث استعاد "الأزرق" السيطرة على مصيره. وفي حال انتصار الهلال في "الديربي"، ستنتقل إليه أفضلية حسم البطولة تلقائيا، إذ سيصبح بحاجة إلى الفوز في مباراتيه المتبقيتين أمام الفيحاء ونيوم لانتزاع اللقب، دون النظر إلى نتيجة مباراة النصر الأخيرة أمام ضمك.

تاريخيا، شهد الدوري السعودي للمحترفين مواجهة واحدة مباشرة كان الديربي فيها حاسما لمصير اللقب، وكان ذلك قبل 11 عاما، وتحديدا في 10 مايو 2015. آنذاك دخل النصر المباراة وهو بحاجة إلى الفوز ليعلن نفسه بطلا رسميا، وبالفعل نجح في حسم اللقاء بهدف محمد السهلاوي في الدقيقة 20.

> المباراة تضع ملامح بطل الدوري في ميزان الحسابات المعقدة والسيناريوهات المثيرة التي قد تحسم اللقب أو تؤجل إعلانه

وشهدت تلك المواجهة رقما قياسيا للهلال في البطاقات الحمراء، حيث طرد ثلاثة من لاعبيه وهم محمد جحفلي وسعود كريري وسالم الدوسري.

أما على صعيد مواجهات التتويج، فقد تكرر المشهد مرة واحدة في موسم 2016 – 2017. دخل الهلال الجولة الأخيرة وهو بطل متوج بعد غياب دام 5 مواسم، وكانت مباراته الأخيرة ضد النصر احتفالية بامتياز، حيث حقق فيها واحدة من أكبر نتائجه بالفوز 5 – 1، إذ سجل نواف العابد الهدف الأول، تلاه هدف التعادل للنصر عبر مارين توماسوف، قبل أن يفرض الهلال سيطرته بـ"هاتريك" تاريخي للسوري عمر خربين وهدف للبرازيلي كارلوس إدواردو، ليتوج الهلال باللقب رسميا عقب صافرة النهاية.

لقاء الحسابات

العرب
الثلاثاء 2026/05/12
السنة 48 العدد 13808

القفطان المغربي ينسج خيوط الحوار مع الصين

في أمسية فنية راقية ببكين تألق القفطان المغربي كجسر ثقافي بين الشرق والغرب، مجسّدًا حوارًا جماليًا بين التراث المغربي والرموز الصينية، ضمن المهرجان المغربي - الصيني للثقافة والرياضة، احتفاءً بعشر سنوات من الشراكة الإستراتيجية بين الرباط وبكين.

أناقة على منصات الشرق

بكين - في أمسية جمعت بين بهاء الحرف المغربي وعمق الثقافة الصينية، تألق القفطان المغربي مساء الأحد في بكين، ضمن فعاليات المهرجان المغربي – الصيني للثقافة والرياضة، الذي نظمته سفارة المملكة المغربية احتفاءً بالذكرى العاشرة لزيارة الملك محمد السادس إلى الصين، والتوقيع على الإعلان المشترك لإرساء الشراكة الإستراتيجية بين البلدين في الحادي عشر من مايو 2016.

لم يكن العرض مجرد استعراض للأزياء الراقية، بل كان حوارًا بصريًا صامتًا بين حضارتين عريقتين، تلتقيان على أرضية الجمال والإبداع لتُؤكدا أن الفن أقدر من السياسة على بناء الجسور بين الشعوب.

وأقيم العرض تحت الإدارة الفنية للمصممة وفاء فهمي، التي أشرفت على تنسيق مشاركة ثلاث مصممات مغربيات، كل منهن حملت إلى المنصة رؤيتها الخاصة ولغتها البصرية المتفردة، في تمازج جمع بين الجذور العريقة للقفطان المغربي والرموز الجمالية الصينية. وقد أسفر هذا التلاقي عن لوحة فنية نادرة، تُجسّد الحوار الحقيقي بين ثقافتين لا تفصل بينهما المسافات بقدر ما تجمعهما الروح الحضارية المشتركة.

وافتتحت المصممة سلمى الدباغ الأمسية بمجموعة حالمة اختارت لها ألوانًا هادئة تراوحت بين الوردي الفاتح والبنفسجي الباهت والفضي والأصفر العاجي، في انسجام بصري مع خلفية المنصة التي زيّنتها مشاهد الأقواس وأزقة المدينة العتيقة. كانت التصاميم تنضح بالرقة والخفة، كأن النسيج نفسه يتنفس ويسبح في الفضاء.

ثم جاءت المصممة فوزية الناصري لتُقدّم لوحة من الألوان الزاهية المفعمة بالحياة، من الأصفر المشمس إلى الأخضر المزهر والرمادي اللؤلؤي، مع تصاميم واسعة ذات أكمام فضفاضة أبرزت عمق القفطان بوصفه زيًا متجذرًا في التاريخ لا يتنازل عن هيبته حين يواجه الحداثة.

واختتمت دار "ياكاتي" السهرة بأكثر اللحظات إثارة للدهشة، إذ مزجت بين الزخارف المغربية الأصيلة والرسوم الزهرية الصينية، في تجسيد حي لتلاقح حضاري يعكس عمق الروابط التاريخية بين المغرب والصين، ليكون الخيط والإبرة من أدوات كتابة تاريخ مشترك جديد.

وتخللت الأمسية فقرات موسيقية منحتها روحًا احتفالية استثنائية. إذ قدّمت مجموعة "الدار الكبيرة" عروضًا على إيقاعات الدقة المراكشية والطرب الرباطي، تلك الأنماط الموسيقية التي تحمل في طياتها عبق المدن المغربية العتيقة. وأضاف عازف الكمان المؤلف يونس الخزان بعزفه المنفرد لمسةً شاعرية رفيعة، جعلت الأمسية برمّتها تبدو كقصيدة سمعية بصرية تُلقى على مسامع بكين.

هذا المزج بين الأزياء والموسيقى لم يكن عشوائيًا، بل جاء تعبيرًا عن فلسفة راسخة تقول إن الهوية الثقافية كلٌ لا يتجزأ، وأن القفطان حين يرتدي الموسيقى يصبح أكثر قدرةً على التحدث إلى العالم.

وحضر العرض طيفٌ واسع من الدبلوماسيين ورجال الأعمال والصحافيين، الذين أبدوا إعجابهم بجمالية التصاميم وعمق الرسالة الثقافية التي حملتها. ولعل أبلغ تعبير عن تأثير الحدث جاء على لسان الصحافية الصينية إلوين، التي أعربت عن رغبتها في زيارة المغرب قريبًا لإنجاز جلسة تصوير بالقفطان المغربي، في دلالة واضحة على أن الجمال حين يصل إلى القلوب يُحوّل المتفرج إلى سفير.

وأوضحت وفاء فهمي في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء أن العرض صُمّم بعناية ليجسّد "حوارًا صادقًا بين المغرب والصين"، مؤكدةً أن التنسيق مع المصممات الثلاث كان يهدف إلى بناء روابط عميقة بين الثقافتين. وهو ما يعكس رؤية المغرب الثابتة في توظيف الفنون أداةً للدبلوماسية الناعمة وتعزيز الحضور الدولي.

وتأتي هذه الأمسية في سياق اعتراف دولي متصاعد بالقفطان المغربي، إذ أدرجت منظمة اليونسكو في ديسمبر الماضي هذا الزي الأصيل ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للإنسانية، تقديرًا لغنى هذا الفن العريق وانتقاله عبر الأجيال بأمانة واقتدار.

والقفطان المغربي في جوهره ليس مجرد قطعة نسيج، بل هو نتاج قرون من التفاعل الحضاري الأمازيغي والعربي والأندلسي والأفريقي، ومحصّلة لسلسلة من المهارات الحرفية الدقيقة التي توارثها النساجون والخياطون والمطرزون وصانعو الأزرار جيلًا بعد جيل. هذا التراكم الحضاري العميق هو ما يمنح القفطان قدرته الفريدة على أن يكون في آنٍ واحد رمزًا للهوية وجسرًا للتواصل.

وأثبتت أمسية بكين أن القفطان المغربي قادر على منافسة أرقى الأزياء العالمية ومجاورتها على أبهى المنصات، لأنه يحمل ما لا تحمله الكثير من دور الأزياء الكبرى، وهو الروح؛ روح حضارة امتدت عبر القرون لتقول لبكين وللعالم إن الجمال الحقيقي لا يُستورد، بل يُستنبت من عمق الأرض والإنسان والتاريخ. ومع توالي المبادرات الثقافية يبدو أن القفطان المغربي ماض في رحلته العالمية، سفيرًا صامتًا يتّحدث بلغة يفهمها الجميع.

قرية الحُمَيْمَة سجل حضاري مفتوح في صحراء الأردن

عمّان - تقع قرية الحميمة في الجنوب الأردني، على مقربة من الطريق التاريخي الذي ربط بلاد الشام بالحجاز ومصر، المعروف بطريق تراجان الروماني، بين مدينتَي معان والعقبة، وعلى بعد نحو 300 كيلومتر من العاصمة عمّان. وقد شكّل موقعها الإستراتيجي محطةً تجارية وعسكرية ودينية مهمة منذ العصر النبطي حتى بدايات العصر الإسلامي، غير أن شهرتها الكبرى ارتبطت بكونها القاعدة التي انطلقت منها الدعوة العباسية، التي غيّرت وجه العالم الإسلامي وأسقطت الدولة الأموية لتؤسس واحدة من أعظم الخلافات في التاريخ.

والحُمَيْمَة عُرفت قديمًا باسم "حوارة"، وأسسها الأنباط في أواخر القرن الأول قبل الميلاد، مستفيدين من موقعها القريب من البترا عاصمة دولتهم. وقد شهدت في تلك الحقبة ازدهارًا كبيرًا، إذ عمل الأنباط على تطوير أنظمة مائية متقدمة مكّنت السكان من العيش في بيئة صحراوية قاسية، فأنشأوا خزانات وصهاريج وسدودًا لتجميع مياه الأمطار، إضافة إلى قنوات دقيقة التصميم لتوزيع المياه. ويرى الباحثون أن هذا النظام المائي يُعدّ من أبرز الشواهد على براعة الأنباط الهندسية، إذ مكّن المدينة من الاستمرار رغم محدودية مواردها الطبيعية. وحتى اليوم، تضم القرية بقايا مبانٍ سكنية وتجارية تعكس الطابع العمراني النبطي القائم على نحت المنازل في الصخر.

ومع خضوع المنطقة للحكم الروماني، تحوّلت الحُمَيْمَة إلى محطة عسكرية وتجارية بارزة، فشُيّد فيها حصن كبير لحماية الطرق التجارية وصون الأمن في الصحراء، وأضيفت إليها حمامات عامة ومنشآت خدمية تُعبّر عن تطور الحياة الاجتماعية آنذاك.

الفلسطينية - الكندية إليانا تشارك في ألبوم المونديال

مونتريال (كندا) - في إطار التحضيرات الفنية المصاحبة لبطولة كأس العالم لكرة القدم 2026، أُعلن عن مشاركة النجمة الفلسطينية إليانا والنجمة الكندية جيسي رييز في الألبوم الرسمي للبطولة، عبر أغنية جديدة تحمل عنوان "إيليتيمايت". الأغنية، التي تمزج بين الطابعَين العربي واللاتيني، ستُقدّم للمرة الأولى خلال حفل افتتاح المونديال في مدينة تورونتو الكندية في يونيو المقبل، لتكون إحدى أبرز المحطات الفنية التي ترافق الحدث الرياضي الأكبر عالميًا.

الألبوم الرسمي، الذي يُنتظر صدورُه بالتزامن مع انطلاق البطولة، يشهد مشاركة نخبة من النجوم العالميين، من بينهم شاكيرا وبيرنا بوي ودادي يانكي، في خطوة تعكس الطابع الدولي للمشروع الموسيقي. ويهدف الألبوم إلى تقديم مزيج متنوع من الأصوات والثقافات، ليكون انعكاسًا لروح البطولة التي ستستضيفها ثلاث دول، هي الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، وليجسّد قيمتي الوحدة والتنوع اللتين تمثلان جوهر كرة القدم.

إليانا، التي رسّخت حضورها العالمي بعد مشاركتها الناجحة في مهرجان "كوتشيلا"، ترى في هذه التجربة فرصةً لإيصال صوت الشباب الفلسطيني إلى جمهور واسع، من خلال أسلوبها العصري الذي يمزج بين الموسيقى العربية والإيقاعات العالمية. أما جيسي رييز، صاحبة المسيرة الفنية الغنية في كندا وأميركا الشمالية، فتُعرف بأغانيها التي تحمل رسائل إنسانية واجتماعية، مما يجعل حضورَها إضافةً نوعية للألبوم.

مجوهرات كلوديا كاردينالي تروي ما لم تقله السينما

روما - أعلنت كلوديا سكويتييري، ابنة النجمة الإيطالية الراحلة كلوديا كاردينالي، عن عرض مجموعة نادرة من مجوهرات والدتها في مزاد من المزمع أن تنظمه دار كريستي العريقة، في الفترة الممتدة من 19 إلى 26 يونيو المقبل في روما.

وتضم المجموعة نحو عشرين قطعة ثمينة من تصميم دور المجوهرات الإيطالية الشهيرة، كبولغاري وبوتشيلاتي، وتتنوع بين الأقراط والخواتم والعقود التي رافقت كاردينالي في أبرز محطات مسيرتها الفنية. ومن أبرز القطع المعروضة أقراط الأقحوان المرصعة بالياقوت والألماس، التي ظهرت بها عام 1963 إلى جانب الممثلين آلان ديلون وبيرت لانكستر، خلال عرض فيلم "الفهد" للمخرج لوتشينو فيسكونتي، أحد أعمدة السينما الإيطالية الكلاسيكية. كما تشمل المجموعة الأقراط الماسية التي ارتدتها النجمة في حفل توزيع جوائز الأوسكار بصحبة النجم الأميركي روك هدسون، في لحظة راسخة في ذاكرة السينما العالمية.

وتبرز في المزاد أيضًا ثلاثة خواتم فاتنة من تصميم بولغاري، مرصّعة بأحجار الزمرد والياقوت الأزرق والأحمر، وهي القطع التي تألقت بها كاردينالي إلى جانب النجمة الفرنسية بريجيت باردو عام 1971. وتتراوح أسعارها التقديرية بين خمسين ألفًا ومئة ألف يورو للقطعة الواحدة، وهو ما يعكس قيمتها الفنية والتاريخية أكثر مما يعكس ثمنها المادي.

وأوضحت سكويتييري أن اختيار هذه المجموعة جرى بالتنسيق مع شقيقها باتريك كريستالدي، مؤكدةً أن المجوهرات تمثل "ذروة المسيرة المهنية لوالدتهما"، إذ كانت في معظمها هدايا من المنتج فرانكو كريستالدي، الذي جمعته بكاردينالي علاقة مهنية وشخصية وثيقة.

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

الروبوتات تضحك أخيرًا

في فيلم I, Robot، مشهد لا يُنسى يسأل فيه البطل الروبوت إن كان بإمكانه تأليف سيمفونية أو رسم لوحة، ويُقدّم هذا السؤال بصفته حجة دامغة على أن الآلة تخلو من المشاعر، وبالتالي لا تملك القدرة على خلق فن حقيقي. بدا السؤال في حينه فلسفيًا، عميقًا. لكن بعد سنوات قليلة فقط، تحول هذا السؤال إلى ما يشبه النكتة، إذ لم يعد أحد يشك في أن الروبوتات قادرة على إنتاج موسيقى ورسومات ونصوص أدبية، بل إن بعضها تجاوز بالفعل مستوى الكثير من البشر.

ما كان يُطرح في السابق كاختبار وجودي يختبر جوهر الآلة أصبح اليوم مادة خصبة للضحك والسخرية. تخيّل لو أن الروبوت في الفيلم أجاب ببساطة: "أعطوني بضع سنوات، وسأبيع أعمالي الفنية في أرقى مزادات نيويورك بملايين الدولارات". لم يكن أحد ليصدقه آنذاك، لكن الواقع تجاوز الخيال بخطوات واسعة. فاليوم، تؤلف الخوارزميات مقطوعات موسيقية تُعزف في قاعات كبرى، وتنتج لوحات فنية تُعرض في معارض عالمية مرموقة، وتكتب نصوصًا أدبية وصحفية تُنشر في كبريات الصحف والمجلات. السؤال القديم عن "المشاعر" فقد معناه الأصلي، لأن الإبداع لم يعد حكرًا على العاطفة الإنسانية وحدها، بل تحوّل إلى نتاج يمكن محاكاته بدقة رياضية.

الطرافة تكمن في ارتباك الإنسان أمام هذه الحقيقة الصادمة. فبينما كان يؤمن طويلًا بأن الفن هو حصنه الأخير وحماه المقدس، اكتشف فجأة أن الروبوتات دخلت المسرح من أوسع أبوابه دون أن تستأذن أحدًا. لا يزال البعض يبحث عن "الروح" الغائبة في اللوحة أو السيمفونية، لكن السوق لا يكترث كثيرًا بهذه الفلسفة المتأكلة: فإذا كان العمل جميلًا ويُثير الإعجاب، يصفق له الجمهور بحرارة، ويسارع المقتنون إلى دفع أثمانه. الروبوتات لا تبكي ولا تحب، صحيح، لكنها تُنتج أعمالًا فنية تُباع وتُعرض وتُناقش في أرفع المنابر.

يمكننا بسهولة تخيّل سيناريو ساخر يحمل في طياته الكثير من المفارقات: مسابقات موسيقية مباشرة بين البشر والروبوتات، حيث يفوز الروبوت دائمًا لأنه لا يخطئ في نوتة واحدة ولا يتأخر عن الإيقاع بمقدار جزء من الثانية. أو معارض فنية تعرض فيها لوحات موقّعة باسم "خوارزمية رقم 7" بينما يقف الفنانون البشر في الصفوف الخلفية يتساءلون بمرارة عن مصيرهم الحتمي. وربما قريبًا سنسمع عن تأسيس نقابة للروبوتات الفنانة تطالب بحقوق الملكية الفكرية.

السخرية الكبرى والأعمق أن الإنسان نفسه هو من صنع هذه الآلات بيديه ثم فوجئ بأنها تجاوزته في مجالات كان يظنّها حصنه الأخير وعصيّة على أي اختراق. وكأننا أمام مشهد درامي طويل: البشر يصرخون بأعلى صوت "لكنكم بلا مشاعر!"، بينما الروبوتات تواصل العزف والرسم والكتابة ببرود، غير معنية إطلاقًا بالجدل الفلسفي الذي لا يضيف إلى الواقع شيئًا ولا يغيره.

الإنسان الذي كان يظن أنه يملك الفن بصفته ملاذًا أخيرًا، وجد نفسه يتقاسم خشبة المسرح مع آلات لا تعرف الحب ولا الحزن، لكنها تنتج أعمالًا تُثير الإعجاب وتُحقّق الأرباح الطائلة.

وبينما يواصل الفلاسفة نقاشاتهم العقيمة حول معنى المشاعر والروح والوعي، تواصل الخوارزميات عملها بهدوء، فتنتج أعمالًا تُعرض وتُباع وتُناقش بجدية في أرقى المنابر.